بين التوهم والتعقل

فلاسفة الأديان في الميزان

القسم الأول

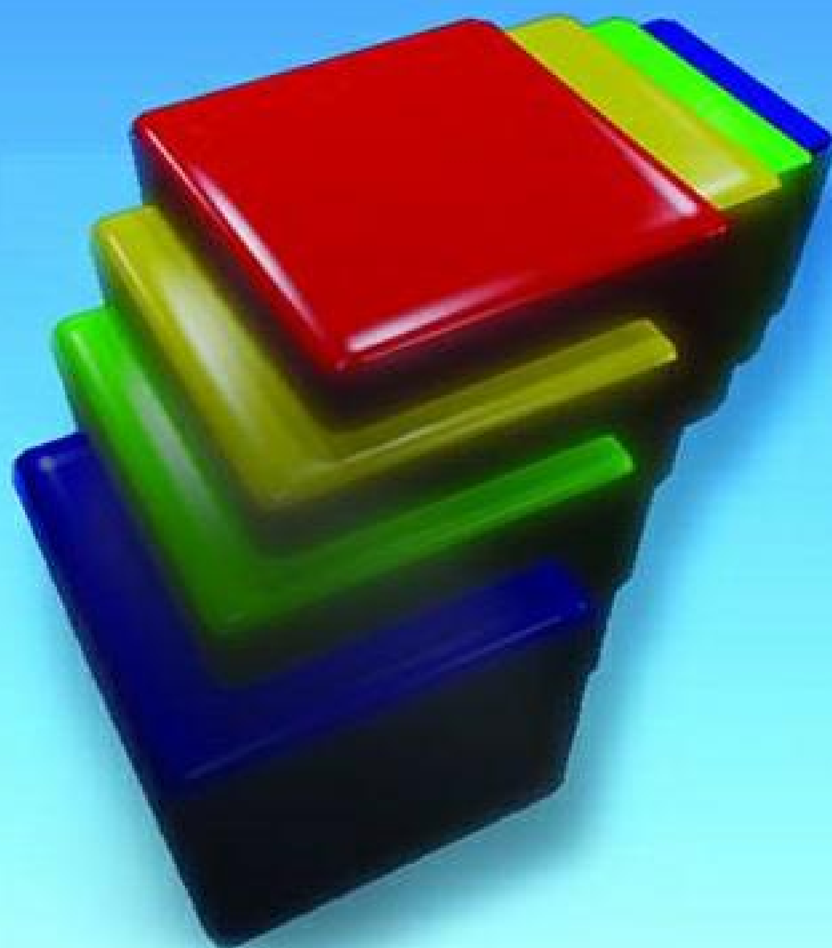
ميثاق طالب كاظم الظالمي

سلسلة القرآن والحكمة
(٣)

بين التوهم والتعقل

فلاسفة الأديان في الميزان

القسم الأول



ميثاق طالب كاظم الظالمي

(٢) .... بين التوهم والتعقل فلاسفة الأديان في الميزان

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدمة

لا زالت المفاهيم والأفكار الدينية عموما والإسلامية خصوصا عرضة لتأويل المُبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين، ولا زالت التحديات الذهنية المُسخرة بقوى العقل التجريبي والمسبُوكة بنظرة مادية مُجردة والمُتأصلة بجذور الفراغ الفلسفي ذي الابعاد المحدودة حاكمة على ضبط وتعيير درجة التعتيم والضبابية المُلتقطة بإدراك ثقافي ناقص عند أجيال من البشر حتى صارت خدعة التلاعب بالعقول من خلال بعض تقريبات (فلاسفة اليوم) اللامُتقاربة مع الحقيقة! واحصائيات مجالات البحث العلمي المُستندة غالبا على العشوائية في الإختبار والمحدودية في فرض المُتغيرات، هي اللغة التي تسعى القوى الاستكبارية الالحادية الى تثبيتها كلغة عالمية بديلا عن أي لغة اخرى مهما كانت تلك اللغة مُتاصلة ومتينة، مُستعملة كافة التقنيات والمُوجهات لخلق منطقة من الوهم واللاإطمئنان العقائدي في الباطن الإنساني وايجاد قاطع شكوكي مُهيمنا على المُحتوى الداخلي للعقل البشري من خلال إسماعه لأطياف من الاصوات وبحناجر مُتفاوتة موضوعا ومُتحدة مضمونا تشترك كلها بتوجيه ضربة واحدة الى قلب هذا الدين وكل الاديان بقبضة تدرعت بقفاز (الاحصائيات العلمية والنتائج التجريبية) وتبادلت الافكار على مائدة الجهد الاستنتاجي المُطلق والخيال الفلسفي المُجرد،

لتصوغ في النهاية معادلة (التفلسف الحر في الدين) بلا معيار للغة مُوحدة في الفلسفة ثم بناء صروحا من الاستنتاجات على تلك النتائج التي أقام أعمدتها (فلاسفة الاديان) وبهرجها التحرر (القيمي لإنسان الحداثة) فكان لابد من حمل هذا الدين وحمايته من تأويل المُبطلين وتفلسف الجاهلين ووضع بعض هذه النظريات والمفاهيم في احدى كفتي ميزان الحقيقة وتحديد وزنها العلمي بثقل الثوابت الوجودية المُنضبطة في الكفة الأخرى ثم عرضها على روح الصفاء العقلي ومنبع الطهارة لتجد حجمها الصحيح في ذلك الميزان .

ونُلفت نظر القارئ الكريم الى ان هذا الكتاب هو مناقشة لآخر نظريات فلاسفة الأديان والعلوم المُحدثين اعتماد على مصادر متنوعة كان ابرزها كتاب (God dulusaon) لريشتارد دوكنز وكذلك فإن هذا الكتاب ليس كتابا فلسفيا اصطلاحيا مجردا كما قد يُوحي بذلك عنوانه بل هو عرض لشبهات حديثة يُثيرها (في زماننا هذا) فلاسفة معاصرون واساتذة اكاديميون ـ سيجد القارئ الكريم ترجمة اجمالية لحياتهم وانجازاتهم العلمية في آخر الكتاب ـ بطريقة سببت ارباكا عند بعض المُثقفين المؤمنين وانعطافا عند غيرهم فكان لابد من إعادة القراءة في بعض مفاصلنا العلمية الفلسفية منها والمعرفية بأسلوب قد يكون مجرد عرضه كافيا في إظهار التعقل فيما توهموه من تلك الحقائق.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

ميثاق طالب كاظم الظالمي

٢٥ شوال ١٤٣٤هـ

الفصل الأول

فلاسفة العلم والدين

وسلب البراءة عن الأسئلة المُطلقة

الرمز العلمي وإدخال الفكر الديني في المُنعطف الحرج

نسمع كثيرا عن عباقرة وعلماء ملؤا صفحات التاريخ وكثر الكلام عنهم حتى صاروا رمزا علميا قديما وحديثا وفرضوا احترامهم ووجودهم العلمي على مستوى الفكر البشري وصاروا رقما لا يمكن تجاوزه تارة ويُفتخر بالانتساب اليهم أخرى.

يُذكر أن ألبرت إنشتين عالم الفيزياء المعروف سئل يوما إذا لم تكن فيزيائيا ماذا كنت ستكون فأجاب أكون سباكا ، قيل ان الخبر وصل لإتحاد السباكين او جمعية السباكين (في المانيا) فأهدوا له أدوات سباكة مطلية بالذهب[١].

وصار تأثير هذه الرموز العلمية واسعا وعميقا حتى بدأت تأثيراتها تتوسع على مستوى العقيدة والايمان فإن ما أمتلكه اولئك من العمق الفكري والتأمل والتفكير الجاد في حقائق الاشياء على مستوى الدليل العلمي القاطع الذي لا يقبل التبدل والتغير اضحى أمرا لا تنفك النفس عن تقبله وصار تحديا مُحرجا لمفاهيمنا الدينية يكتب عالم الفيزياء كارل سيغان

---

١ الكلمة من رسالة وجهها البرت اينشتاين الى رئيس تحرير مجلة يبورتر الامريكية ١٩٥٤.

في كتابه (النقطة الزرقاء الفاتحة)[1] (الكون أكبر وأعظم بكثير بل ادهى وأشد اناقة بكثير مما أخبرنا به الانبياء) ويتعجب بقوله (أعجب انه لم يحصل قط أن نظر دين ما الى العلم).

وتكتب إحدى الطالبات الامريكيات عن راي برفسور لها(ان علمه لا يتطابق مع الدين لكنه مشمع بنشوة عارمة عن الطبيعة والكون وهذا تدين بالنسبة لي).

إذن فالدين عندهم هو صورة بالية عن الكون والطبيعة، والعلم هو الصورة الأكثر تألقا عن الطبيعة والكون.

فالنتاج العلمي والحقائق الفكرية المستلهمة من حركة الانسان التطورية وفتوحاته الذهنية ومحصلة نتائجه التجريبية أدخلت الفكر الديني بمنعطف حرج وصارت الاجابات التي قدمها العلم حديثا مُثيرة لسلسلة من الشبهات المتعاقبة والتي تبحث عن حلول اكثر نضجا وادق وصفا مُحاكية للثورة العلمية الهائلة فصار العالم الطبيعي يقف بالدرجة نفسها التي يقف بها رجل الدين ليعطي تنظيراته الخاصة لحقيقة (الإله) وحقيقة تعامله مع البشر وبالتالي حقيقة السلوك الانساني.

---

١ توجد تسمية آخر للكتاب بحسب اختلاف مسالك الترجمة (كوكب الأرض نقطة زرقاء باهتة).

يقول العالم الفيزيائي ستيفن واينبرغ في كتابه {الحُلم بالنظرية النهائية} ((يحمل البعض رؤيا عريضة ومرنة جدا عن الله ومن المحتم انهم سيجدون الله اينما بحثوا ـ يقصد الفكرة الدينية المنبثقة من ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾ و﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ـ ثم يعرض التفسير الديني لهذه الرؤية العريضة فيقول ـ فنسمع اقوالا مثل الله هو اللانهائي او أن الله هو طبيعتنا المثلى او أن الله هو الكون ، بدون شك يمكن ان تعطي كلمة الله تماما مثل أي كلمة اخرى أي معنى تريده ، عندما نقول أن الله طاقة فسنجده إذن في قطعة الفحم)) استهزاء وسخرية من توسيع الذهنية الدينية لمفهوم الله ، أكرر إن فكرة التعاطي مع المفاهيم العليا بطريقة المنهج العلمي المجرد لا تنتهي عند هذه النقطة وليست هي محاولة بريئة في جميع خطواتها فان ذلك المفهوم (الله) ـ بهذه النظرة العلمية المجردة ـ هو من فرضت الكتب السماوية على الانسان أن يتوجه إليه بالعبادة ، فالعبادة والعبودية وقعت في طريق جرافة العلم الهائلة لكن المسألة تأخذ صورة تدرجية أكيدا وليست دفعية في الالغاء فارتقاء العقل البشري من خلال اتقانه لقوانين الطبيعة واحاطته الشمولية لحقيقة الكون وانبثاق الاشياء من نقطة الصفر (الانفجار الأعظم) وحتى بعد (الانكماش الأعظم) تؤهله الى مرتبة ليست اعلى من الكتب الإلهية ورسالات الانبياء وتعاليمهم المبلغة عن الوحي السماوي بل أن نفكر بنفس الطريقة التي يفكر بها الإله وجواهر (منهجية التفكير الإلهي) ـ إن

صح التعبير ـ يقول ستفن هويكنج في نهاية كتابه {تاريخ موجز للزمان} (وبذلك نعرف مكنونات تفكير الإله).

الأسئلة المُطلقة وبداية الإملاء الفكري

في تصوري إن استعمال علماء الطبيعة لمفهوم الإله وتضييق (الرؤيا العريضة) ـ حسب قولهم ـ أو الارتقاء الى فهم مكنونات تفكير الإله ليس سوى البداية لإملاءآت أكبر حجما وأشد إنعطافا وإن كانت ليست نظرة ظاهرة على الجميع فحين سئل يوما عالم الفيزياء ستفن هويكنج عن قدرة وإمكانية الفيزياء وحدودها اللانهائية على إعطاء نظرة شاملة فأجاب (إن الفيزياء لا تعلمنا كيف نتعامل مع جيراننا) إلا أن البعض يتجه بحركة معاكسة في فهمه ويعتبر ان الطبيعة المادية المجردة كافية بلا حاجة الى (ما وراء المادة) لرسم ما نتصور أن الاديان فهمته يقول جوليان باغيتي (إن الكون مادي بحت فأن العقل والجمال والعواطف والقيم الاخلاقية وباختصار كل ما في سلسلة الظواهر التي تعطي الحياة الانسانية قيمتها قد انبثقت منه).

وهي صورة مُبطنة لإلغاء الإله بتدرجية من تضيقه في الرؤيا والتصور الى الارتقاء الى مستوى مكنونات تفكيره الى إعطاء الطبيعة المادية المجردة القيمة العليا لكل شيء.

نهاية الطريق للأسئلة المُطلقة

ربما يتبادر الى اذهانكم أن هؤلاء محجوبون عن اللذائذ المعنوية التي ننهل منها اثناء قراءتنا للقرآن العظيم أو الصلاة أو المناجاة ... الخ فكيف يستطيع هؤلاء الممنوعون من رحمة الله تبارك وتعالى ومن لطفه ومن فيوضاته ـ بحسب كلماتنا ـ أن يملؤا منطقة الفراغ النفسي الهائلة؟ والجواب حاضر، فقد ذكر كبار علمائهم هذا الجانب (إن ما ارآه في الطبيعة هو بناء مُدهش ونحن نفهمه بشكل ناقص على أحسن الأحوال هذا ما يملأ المفكر التواضع[١] بالنشوة هذا بشكل عام شعور تدين بدون ان يكون له علاقة بالروحانيات) .

وهذا ما توقعناه قبل قليل وهو ان ليس جميع الخطوات العلمية تكون بريئة الى نهاية الطريق ومسالمة فكل شيء له بديل في لغة العلم الحديث حتى الروحانيات هي شعور بالنشوة.

---

١ لعل المراد (المفكر المتواضع) لكن اثبتناها كما في النسخة التي تحت ايدينا من باب الامانة في النقل .

أين تكمن المشكلة؟

لا نريد أن ندخل في فلسفة العلم ومنظور الدين الى العلم واحترامه له والحث على أخذه وحدوده بقدر ما نحاول ان نستقرأ مكنونات المشكلة والبحث عن نقاط الضعف الجوهرية في المسألة.

ولنبدأ الاجابة على السؤال بإثارة فكرة ولفت انتباه الى ان قوة هذه الافكار قد نشأت من الغرب أي من شعوب لا تعتبر الدين الاسلامي هو الدين الرئيسي والاكثر انتشارا ولو التفتنا ايضا أنه لا يخفى علينا التقدم الهائل الذي نشأ في الغرب تكنلوجيا مما سبب في توسيع الفجوة بين العلم والدين .

لذلك صار (العالم الطبيعي والمفكر الغربي) بين قوتين من الشد والتأثير قوة دين كهل[١] لم يُوجد ليحاكي جميع مراحل التطور البشري والكمال الانساني يدعوه لعبادة الإله وبين علم وفتوحاته الهائلة (ليس على المستوى التكنلوجي فحسب) بل على مستوى البديل عن الفكر الديني بأعمدته الرئيسية.

---

١ يقصد به المؤلف (دام توفيقه) دين اهل الكتاب المحرَّف من اليهود والنصارى.

خذ مثلا لذلك نظرية التطور لتشارلز داروين والكم والنسبية وما تلاها لذا تجد ان الذهنية في النهج التفكيري اتجاه الإله قد انشقت وتصدعت الى جزئين بين الاول وهو الرب أو الإله والذي نجده في بعض كلمات كبار علمائهم والثاني وهو الإله الشخصي أو الإله الذي يكون مسؤولا عن سلوكيات البشر وهو مرفوض اكيدا .

هذا بخصوص الإله اما بخصوص الدين والاعتناق الديني فلا يخلو من مسوغاته ايضا منها التعصب أو الولاء لتقاليد قديمة أو الخجل يقول احد اركان الجالية اليهودية في انكلترا روبرت ونستون (بأن يهوديته جزء من شخصيته وانه لا يؤمن باي شيء وراء طبيعي وكان على قاب قوسين أو ادنى من الاعتراف بذلك ولكن تغلب عليه خجله في النهاية).

إذن المشكلة الاولى تكمن في ضعف الفكر الديني وايدلوجية رجل الدين في انفعاله الاولي مع افكار العلم الحديث والتقدم الهائل بالنظريات العلمية في بناء صورة كاملة عن الكون والطبيعة فوجد المفكر الغربي نفسه بين قوتي شد وتصدع فكري عميق (من اللطيف ذكره أن تقدم الحالة الدينية في بعض الشعوب الاسلامية وعزله بحسب حكوماته السياسية) قد أخر ظهور هكذا حالة وان كانت قد تسربت اكيدا بدرجة من الدرجات حتى الى تلك الشعوب.

إذن مشكلة المفكر الغربي بدرجتها الاولى انبثقت من زعزعة فكرة الإله الشخصي او كما يسمونه (إله سبينوزا)[١] أي الإله الذي يكشف عن نفسه بالتألف المرتب لكل الموجودات وليس بالإله الذي يشغل نفسه بمصير البشر وبتصرفاتهم.

لا يخفى أن البحث العلمي في هكذا امور يفتح البصيرة بدرجة من الدرجات على مستقبل الدين الاسلامي ودستوره الخالد القرآن العظيم وترجمانه أهل البيت عليهم السلام ويُحمل الاجيال مهمة مُواجهة تلك التحديات .

والآن نستطيع أن نفهم ما روي عن الامام الصادق عليه السلام قَالَ﴿ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَحْمِلُ هَذَا الدِّينَ فِي كُلِّ قَرْنٍ عُدُولٌ يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْجَاهِلِينَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ﴾[٢] وهو يشير الى التحديات التي ستواجه هذا الدين في كل قرن وهو تنبيه وايقاظ لكل من يتصور ان ما ذكرناه لا ينطبق على دين عظيم كالإسلام لقوله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣] فأن الحديث ترجم ذلك الظهور حين قال ﴿يَحْمِلُ هَذَا الدِّينَ فِي كُلِّ قَرْنٍ عُدُولٌ﴾ فالظهور المذكور يكون بمن يحمل هذا الدين ولا نتوقع ان هنالك دين محمول

١ نسبة الى الفيلسوف الهولندي من أصل يهودي (باروك سبينوزا) عاش في القرن١٧.
٢ بحار الانوار ، العلامة المجلسي مؤسسة الوفاء بيروت لبنان ١٤٠٣هـ ج٢ باب ١٤ص٢٦٤
٣ التوبة٣٣

بلا حامل ثم لا نتوقع ان يكون الظهور دفعي وفجائي لأنه حينئذ سيكون بحسب ما ذكرنا قد استفحلت هذه النظريات والافكار لدرجة سيكون عندها أن من يتكلم بمفاهيم القرآن كمن يتكلم بلغة غريبة عن أهل ذلك الزمان.

ثم إن الاستيعاب والشمولية في الحديث ﴿كُلِّ قَرْنٍ عُدُولٌ﴾ تأخذ تصورين من الفهم:

الأول: التصور الانفصالي للتحديات فيكون كل تحدي منفصل عن غيره من التحديات اللاحقة والسابقة.

الثاني: التصور الإتصالي بأن تكون التحديات التي تواجه الدين متصلة مكملة لبعضها بعضا من حيث النشوء والتحدي والحمل والتقويم كذلك .

وعلى كلا التصورين فأن تأهيل الانسان علميا وفكريا بإحاطة شمولية لأركان الاسلام والقرآن العظيم هي المبادئ الاولية للحمل كما ذكر سيد المُوحدين عليه السلام ﴿أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه﴾[1].

---

١ نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام دار الهجرة قم ايران ، من خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء الخلق .

فأن الخطوة الاولية لحمل الدين الحقيقي وإظهاره على جميع الأديان المُتصدعة هي المعرفة والعلم إذ انه (أي العلم) هو السبب الأولي للإنباء قال تعالى﴿نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ﴾[1] فإذا حصل الانباء تبينت حقيقة الدين وظهرت معالمه ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[2] والآية اعتبرت ان هنالك خلط مفاهيمي واضح (بنفي الاكراه) ميزه ووضح معالمه العلم والانباء لتمييز الحقائق وتمحيصها، لكن عامة الناس قللوا منه بأعذار اختلقوها لأنفسهم فقطعوا العلم لتلك الاعذار مع ان القضية معكوسة فان العلم هو من قطع اعذارهم قال امير المؤمنين عليه السلام ﴿قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ﴾[3] وكأن الذين حملوا الدين والعلم لم يعيشوا حياتهم ولم يعانوا معاناتهم الاجتماعية والاسرية يقول أمير المؤمنين عليه السلام ﴿كُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ﴾[4] وقوله عليه السلام ﴿إِذَا أَرْذَلَ اللَّهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ﴾[5] وقد بين تعالى لعباده الطريق الثاني لحفظ الدين وهو التجمع المكاني في أماكن مقدسة لتداول العلم وهو التلاقح الفكري قال تعالى﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ

---

١ الأنعام١٤٣

٢البقرة٢٥٦

٣ نهج البلاغة الحكمة ٢٨٤

٤ نهج البلاغة الحكمة ٢٨٥

٥ نهج البلاغة الحكمة٢٨٨

عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[١] لما يمثله المسجد من القيمة الرفيعة للعالم والعلم والقرآن (ثلاثة يشكون عند الله تعالى عالم، ومسجد، وقرآن)[٢] وبالتالي تظهر حقيقة الاداة الفعلية لمواجهة التحديات المستقبلية التي تعترض القرآن والاسلام والتي هي منسجمة مع الطبيعة الحضارية للإنسان بعيدا عن التوجس الحذر وتحديد نوع الصراع الفكري قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾[٣].

تكسير معاول البناء بذريعة أنها أدوات للهدم

إلا أن فكرة حماية الدين بالعلم قد تعرضت مؤخرا الى محاولات صعبة لتقويضها ولفت الانتباه الى أدلة عدم تحققها واقعا بل الارتقاء تنظيريا الى التضاد العكسي بينهما فصارت الشُبهات الحديثة تسير باتجاه إيهام المُفكر أن معاول البناء هي بحقيقتها أدوات هدم وأنها لا تُمثل أكثر من قيود للفكر الحر وهذا ما يتكفل الفصل القادم بعرضه.

---

١ الأعراف٢٩

٢ يُشير الشيخ (دام توفيقه) الى ما روي عن ابي عبدالله عليه السلام قَالَ﴿ثَلَاثَةٌ يَشْكُونَ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مَسْجِدٌ خَرَابٌ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُهُ وَعَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ وَمُصْحَفٌ مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْغُبَارُ لَا يُقْرَأُ فِيه﴾.

٣ الأنفال٣٩

الفصل الثاني

أُحجية ولادة المُتراجحة العكسية للتدين والذكاء

إحصائية شيرمر وتوهم التناسب العكسي

ذكرنا في الفصل السابق بداية مبسطة عن العلم وأهميته في دفع التحديات الآتية والمستقبلية للدين الاسلامي وخلاصة ما ذكرناه هو قطع العلم لأعذار المتعللين وان خير سبيل لمواجهة هذه التحديات هو تلقيها بشكل جماعي وعلى طريق التلاقح الفكري في اماكن مقدسة كالمساجد او ما شابه.

وهنا نُثير سؤالا وربما شبهة تثار قديما وقد أعيد صياغة موضوعها حديثا:

تدرس العلاقة بين التدين والذكاء أو العلاقة بين التدين والثقافة ففي دراسة نشرتها الصحيفة العلمية (Nature)[١] اظهرت ان العلماء الأمريكيين المتفوقين ـ لدرجة انهم انتخبوا ليكونوا اعضاء في الاكاديمية الوطنية للعلوم وهي موازية للعضوية في الهيئة الملكية في بريطانيا ـ أن 7% هم متدينون والباقي أي 93% غير متدينين، وفي دراسة بين التدين والمستوى الثقافي أو التدين ودرجة الذكاء نشرها (مايكل شيرمر) يصف احصائية عن عينة

---

١ (Nature) وهي نشرة علمية دورية اسبوعية بريطانية تعني الطبيعة، نُشرت لأول مرة في نوفمبر ١٨٦٩ تختص في مجالي الفيزياء والأحياء بدأت بالنشر باللغة العربية عام٢٠١٢ برعاية مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

عشوائية في امريكا اجراها مع زميله (فرانك سولواي) ومن ضمن النتائج الكثيرة والمثيرة في المسح الاحصائي كان التناسب العكسي واضحا بين التدين والمستوى التعليمي (الافراد الاعلى في مستوى التعليم هم الاقل تدينا) .

وفي تصوري ان هذا الكلام قد يبدو مألوفا عند البعض وربما نحتك كثيرا في حياتنا العلمية مع شخصيات ذات تفوق علمي تمتاز بقلة التدين (عموما) أو بشخصيات ذات ثقافة واسعة وعريقة في مجالات علمية وتاريخية وادبية وهم اصحاب ايمان ضعيف نسبيا فما هو السر هذه الاحجية؟

وأين تكمن حقيقة المشكلة (إن وجدت) ثم الا يُفترض بنا ان ندرك خطورة هذا الامر على المؤمنين وعلى ثباتهم الإيماني فضلا عن انتشاره، وبغض النظر عن مناقشة هذه النسب وانها حقيقية ام لا وانها اجريت في بلدان لا تعتنق الدين الاسلامي ولم تنصهر بتعاليم القرآن وأهل البيت عليهم السلام فأني شخصيا مُلاحظ لهذه الظاهرة (بدرجة من الدرجات) وان لها واقع و واقعية ملموسة ولأجل مناقشة جميع ابعاد الموضوع لتغيير هكذا حالات نبدأ بطرح الافكار بتدرجية فبحسب تتبعي لبعض المصادر المتخصصة وجدت ان بعض المتخصصين وهو (سكوت وايت) يذكر أنه التقى بأفراد ناجحين ومتفوقين في عديد من المجالات ثم يذكر مجال إدارة الأعمال، السياسة، الترفيه، الشؤون المدنية، الخدمة العامة، الدين، التعليم.

وُيفهم من كلامه ذكره (للدين) أي إن هنالك حالة من الابداع في المجال الديني اسوة بباقي المجالات، اذن ممكن كخطوة اولى في فهمنا البحثي إعادة عرض المشكلة كالتالي فنقول :

إن النجاح والتفوق في الدين يعتبر خاضعا لمعايير النجاح أسوة بالمجالات الاخرى إلا أن التفوق الديني لا يجتمع مع تفوق آخر، كما لا تجتمع أكثر من حالة ابداع في فرد واحد ، وهي حالة قليلة الحدوث بل نادرة في هذه الثورة الهائلة من التقدم العلمي وظهور التخصصات الدقيقة.

هذه اعادة صياغة أو إعادة عرض للمشكلة من جانب آخر إلا أن هذا الجواب لا يكون كافيا بهذا المقدار بمنظورنا الشمولي التقدمي لفهم فلسفة الاديان عموما والدين الاسلامي خصوصا وهو لا يكفي لرفع هذه الشبهة من الجذور، ولنتقدم خطوة اخرى حول الابداع الديني ومدى تأثيره على المجالات الابداعية الاخرى؟

ولنذكر مقدمة عامة:

فأن شروط النجاح والتفوق في أي مجال متوقف على حركتين ـ كما أقتبست ذلك من بعض ما توصلوا اليه في بحوثهم العلمية وان كان في القلب منه شيء ـ إلا أنه لا بأس بذكره كنقطة انطلاق:

- الرغبة الدفينة في النجاح في أي مجال محدد.
- البراعة في استغلال اقصى قدر من الكفاءة العقلية.

وعليه فإن التفوق في مجالات توسيع قدرات الذاكرة مثلا تكون برغبة دفينة وشديدة في ذلك واستغلال قدرات العقل الكاملة والكفاءة العالية له لتوسيعها في تعلم لغة او اتقان عمليات حسابية معقدة او تفوق في مجال هندسي او فني...الخ وهو مجال للتأمل .

ولوعدنا الى الفكرة المطروحة فان الرغبة الدفينة في ان يكون الانسان مؤمنا ومتدينا تستلزم ان يكون بارعا في استغلال اقصى قدر من الكفاءة العقلية في تطوير هذا المجال الديني وبالتالي (علميا) فلا توجه الكفاءة العقلية له في مجال آخر فتحصل المشكلة المذكورة وهذه الفكرة تواجه اكثر من عقبة:

الاولى: ان الدين ليس نتاجا للعقل فقط حتى يحصل معه ذلك الفتور في مجال آخر بل هو متعلق بعوالم وابعاد انسانية اخرى كالقلب والروح والنفس.

الثانية: ان خضوع الفكرة الدينية لهذا المعيار يستلزم منه نقص في الدين ونقص في التشريع والزام الانسان بأمور ناقصة مثبطة له ورجعية في

صياغة سلوكه ومنهجه التدبري في الحياة وهذا ما تمسك به بعض المُنظرين والمُقتنصين لهكذا هفوات تحليلية.

لذلك فأن تعامل هكذا دراسات علمية مع الحالة الدينية تسمح لنا بقبول جزء من هذه الافكار وعدم قبول الجزء الآخر فنقبل بفكرة ان الابداع الديني هو ابداع بمستوى الابداعات العلمية الهائلة إذا لم نقل بتفوقه عليها لو حصل عند الانسان.

إن ركني النجاح لا ينطبقان تمام الانطباق مع الابداع الديني بل أن هنالك متغيرات أخرى يأتي عرضها.

ولننتقل الى جهة أخرى من الحديث فلو رجعنا الى القران الكريم بخصوص لفظي الابداع والذكاء والنجاح سيلفت نظرنا الى عدة امور منها إن لفظة الابداع لم تذكر بانطباقها بل ذكر الابتداع قال تعالى﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[1] وكذلك الحال مع الذكاء والنجاح.

الامر الآخر المُلفت للنظر نجد أن المفاهيم التي تحدثت عن تطوير قدرات الانسان عموما والذهنية والعقلية منها خاصة امور لها من الكثرة ما يُلفت النظر ففي مجال الابداع الذهني سنجد مثلا العلم، التفكر، التعقل، البرهان، الحجة، الوعي ، التفقه، التدبر، الرسوخ، الحكمة، الاستنباط،

---

١ الحديد٢٧

النظر، عدم النسيان، أما في باقي المجالات فالقائمة تطول وليست هي محل الكلام في حديثنا كالإيمان، الصبر، البصيرة، اليقين...الخ

ولنسير بخطوة اضافية اخرى فان مفهوم الفلاح فيمكن ان يكون مُشيرا بدرجة من الدرجات للنجاح وان كان (أي الفلاح) أعمق وأوسع في المضمون ، وبغض النظر عن الدخول في المداليل اللغوية او المفاهيم القرآنية لهذه المفردات اللفظية (فانه قد يخرجنا عن أصل الموضوع).

فنقول:

قد يتصف المؤمن او المتدين ببعض هذه الصفات والملكات الذهنية التي تعتبر قدرات ذهنية فائقة فيما لو نظرت اليها مستقلة وقد ينظر لها انها ليست كذلك فيما لو نظرت اليها من زاوية اخرى ولنأخذ نماذجا بسيطة تُعتبر ناجحة ضمن اختبار حالات الابداع العقلي والتطوير الذهني كأمثلة وقعت تحت الدراسة والبحث العلمي منها:

ربة منزل ملَّت الانتقال في كل مرة ينتقل فيها زوجها الى عمل جديد تمكنت من التوصل الى خطة تقنع بها شركته أنه لا يمكن الاستغناء عنه في المكان الذي يعمل فيه حاليا وبالتالي إضطر الى الثبات الموقعي في السكن بسبب عمله.

مرشح لمجلس الشيوخ عن أحدى الولايات كان قاب قوسين او ادنى من الفشل لكنه بدأ في توظيف قدرته الابداعية لجذب انتباه الناخبين الذين اختاروه في النهاية لشغل المنصب.

سكرتيرة ادركت ان لديها القدرة على أن تصبح مسؤولة تنفيذية نجحت في الاستغناء عن آلتها الكاتبة عندما استطاعت اقناع رؤسائها بانها أذكى من أن تقوم بمثل هذه الاعمال المكتبية البسيطة.

أقول: ربما لو حاولنا أن نتخذ بعض القرارات في هكذا مواقف بحسب مفاهيمنا الذهنية الدينية، اكيدا سيظهر مسار آخر، ربما في الحالة الاولى مثلا العلاج سيكون بأن تصبر الزوجة على حال زوجها أو ان تفكر في تغيير طبيعة العمل الى عمل أكثر استقرارا لكنه أقل مكسب مادي قد لا يعتبر معيارا صحيحا للإبداع الذهني.

أذن إختلاف السلوك الخارجي يتلازم بحسب الطبيعة المفهومية لحدود الامكانيات الذهنية.

إلا أن المشكلة الى هنا لم تحل فهنالك عقبتان مهمتان:

الأولى: نتائج إختبارات الذكاء.

الثانية: مُتراجحة التفوق العلمي وسعة الثقافة بين نموذجين.

أما بخصوص إختبارات الذكاء فقد أظهرت بعض الدراسات التي ينقلها بشغف (بعض فلاسفة الأديان) تفوق غير المُتدينين على المُتدينين في هكذا إختبارات فبحسب مراجعتي لبعض المصادر في ذلك (علميا) فأن هذه التجارب وإن أجريت كقاعدة بيانات اولية للمنافسين في اختبارات الذكاء إلا انها وقعت كاختبارات مضيقة على فئة ولا تخلوا من نقص في الاستقراء او التغير في الطبيعة_الطوبغرافية للعينات التي دخلت في هكذا احصائيات لذا لا يمكن باختصار الركون لها والاطمئنان اليها لكن يبقى السؤال قائما حتى لو كان الاستقراء ناقصا.

لماذا حصلت هذه النسبة في هذا الاستقراء؟

ألا يمكن أن نعتبر أن هنالك سببا ولو محتملا وكذلك هو نفس السبب الذي حدد من التفوق العلمي ودرجة الثقافة ، ولنسير بشيء من الموضوعية لالتماس علة المشكلة إن وجدت ولنأخذ بذلك أقل الحالات المُحتملة وهو وجود حالات نادرة لمؤمنين ومتدينين حصلت معهم هذه الاخفاقات بدرجة من الدرجات .

القراءة الناقصة لروايات العقل تشكل عنصر ايحائيا لتثيط القدرات الذهنية

إن الفهم الناقص للعقل والابداع الذهني نشأ من الترويج الثقافي الديني الخاطئ والخلط في المفاهيم الدينية وتلقينها بطريقة تراكمية، وتكتفي هذ الرؤية بقراءة ساذجة وسطحية لبعض الاحاديث الشريفة مُسلطة الضوء على الجوانب السلوكية التكميلية للفرد ومُتجاهلة لبعض الجوانب التكميلية الاخرى وسأذكر بعض الامثلة مثلا بخصوص وصف العقل (الذي هو المدار في حديثنا) والذي يمثل القدرات الذهنية في جانب التعقل من جهة والجهل والذي يمثل انخفاض القدرات الذهنية من جهة أخرى مثلا خذ الحديث المشهور﴿أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر ثم قال بك اثيب وبك اعاقب﴾[١] إذن الفكرة المتحصلة الى هنا أن المدار في العقل فقط هو في طاعة الله تعالى وليس له مهمة اخرى سوى طاعة الله فاذا اطاعه فهذ المقدار العقلي يكفي ولا داعي لإيجاد قدرات ذهنية اخرى وان الانسان المؤمن اذا سار بطريقة سلوكية صحيحة بحيث احتمل الثواب فهذا هو العقل ولا داع لأي شيء آخر .

---

١ الجواهر السنية في الاحاديث القدسية للشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي منشورات دار المفيد قم ايران ، الباب ١١ ص١١٦.

أما التفوق العلمي أو النجاح باختبارات الذكاء ، فلا يظهر فيها الثواب جليا وواضحا كما يظهر في غيرها خاصة بعد ضم أحاديث أخرى مثلا ما رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ ﴿قِيلَ لَهُ مَا الْعَقْلُ قَالَ الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَإِنَّ الْعُمَّالَ بِطَاعَةِ اللَّهِ هُمُ الْعُقَلَاءُ﴾[1] أو مثلا الحديث المروي عن الصادق عليه السلام ﴿كَمَالُ الْعَقْلِ فِي ثَلَاثٍ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ وَالصَّمْتِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ﴾[2] وكذلك ما روي عن النبي ﷺ ﴿صِفَةُ الْعَاقِلِ أَنْ يَحْلُمَ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْهِ وَيَتَجَاوَزَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ وَيُسَابِقَ مَنْ فَوْقَهُ فِي طَلَبِ الْبِرِّ﴾[3] او ما رُوِيَ عن الكاظم عليه السلام ﴿يَا هِشَامُ إِنَّ الْعَاقِلَ رَضِيَ بِالدُّونِ مِنَ الدُّنْيَا مَعَ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَرْضَ بِالدُّونِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَعَ الدُّنْيَا فَلِذَلِكَ رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[4] والمُتحصل بالاكتفاء السطحي الاولي لهذه الاحاديث وغيرها وبطريقة إيحائية أكثر منها علمية أن العقل انما يتحقق بطاعة الله من اداء العبادات المتعارفة كالصلاة والصوم والتواضع وقلة الكلام وان تكون حالاته القلبية اليقينية عالية وان تظهر منه امور نفسانية عظيمة كالحلم والتجاوز عن الظالمين له وهمه وتنافسه في طلب البر لا في امور اخرى.

١بحار الأنوار ج١ ص١٣١ باب ٤- علامات العقل وجنوده .

٢ المصدر السابق

٣ المصدر السابق ص١٢٩

٤ الكافي لثقة الاسلام الكليني دار الكتاب الاسلامي طهران ايران، ج١ كتاب العقل والجهل ص ١٠ .

والآن يمكن تصور نموذجين أحدهما يحمل ما ذكرناه من صفات والآخر لا يحملها لأنه يحمل سلوك تديني وإيماني، تعرضا لاختبار ذكاء أو منافسة في حقل علمي ربما نتوقع أن ركني التفوق والنجاح اللذين ذكرا ابتداءاً (وهما الرغبة الدفينة في النجاح والبراعة في استغلال اقصى قدر من الكفاءة العقلية) (أكرر ذكر نموذج لمؤمن متدين اكتفى فقط بهذه النظرة) سنجد أن المؤمن المُتدين للوهلة الاولى قد وقع اسيرا تحت عدة مُثبطات محتملة منها:

الأول: ان هذا التنافس مضيعة لفرص من فرص الطاعة الاخرى وان شغل الانسان نفسه فيها لا معنى له هذا هو المُثبط الاول للرغبة في التفوق والنجاح.

الثاني: ان هذا التنافس لا يتسم بالخلق الرفيع والادب السامي فان الانسان المؤمن حتى لو حصل على الدون من الدنيا كما قرأنا قبل قليل في الرواية لا مشكلة في ذلك.

الثالث: ان حالاتة اليقينية قد لا تنسجم مع هذا الاتجاه.

وربما نجد مضادات اخرى عكسية في النموذج الآخر.

الرب الشخصي رُبما يلعب النرد

للأسف الشديد ان هكذا مستوى من التفكير يتواجد احيانا في الاوساط الدينية الايمانية، مما سبب هذه المشكلة حتى صار التدين والايمان يستجدي الرموز العلمية والارقام الكبيرة، فها نحن نردد كثيرا ما ذكره آلبرت انشتين (ان الرب لا يلعب النرد) او (ان الرب حكيم لكنه ليس قاسٍ) حتى قيل في رسائل نشرت متأخرة بين (آلبرت انشتين) وبين غيره من رجال الدين يظهر انقلاب المعايير بقول (آلبرت انشتين) (ما قرأتموه عن موضوع تديني هو كذب بالطبع كذبة تكررت بشكل مدروس انا لا اؤمن بالإله الشخصي) وقد رد عليه عميد جمعية التاريخيين في نيوجرسي برسالة صريحة قال فيها (نحترم علمك انشتين ولكن يبدو ان هنالك شيء قد فاتك تتعلمه ذلك بان الله روح ولا يمكنك رؤيته بالمرصاد الفلكي او المجهر.... الى ان يقول وكلي أمل يا د. أينشتين انه قد أسيء فهمك وانك سوف تقول شيئا لإرضاء الشعب الامريكي الذي يعزه فعلا تشريفك معهم) ولا يخفى الانهزامية الواضحة في كلمات هذا العميد واستجداء إبتسامة الرضا من الرموز العلمية ذات الأرقام الكبيرة ، ولا ندري ربما قصد انشتين بمقولته الشهيرة (إن الرب لا يلعب النرد) أن رب سبينوزا هو وحده الذي لا يلعب النرد لكن الرب الشخصي ربما يلعبه (والله أعلم).

وأود الاشارة الى إعادة ترتيب افكارنا في هذه الدراسة قبل الاستمرار في البحث كما يلي:

أولا: أن العنوان العام للبحث دراسة واحدة من علل حمل الدين وحمايته في زماننا المعاصر ونظرنا الى تلك العلة بمنظور الشبهات الحديثة التي برزت في الأمم المتقدمة بالعلوم والتكنلوجيا وفي قيادتها العلمية خصوصا وطبقاتها المثقفة عموما.

ثانيا: مناقشة فلاسفة الدين هي العنوان الابرز الذي تم الالتفات اليه في هذه الدراسة ليس بكل تفاصيله بل بما يتلائم والتحديات المذكورة التي بدأت تبث من خلال الانفتاح العالمي وتقدم وسائل الاتصال وإبراز النموذج الحضاري العالمي من خلالها ذلك النموذج الذي يحاكي العقول من خلال مؤسسات (إعادة بناء الفكر) والتي بحسب الاحصائيات يوجد منها في امريكا وحدها ١٠٠٠ ورشة (إعادة بناء الفكر) تهدف لدراسة ما يؤثر على عقول الامم والشعوب .

وقدتم طرح هذا العنوان (فلاسفة الاديان في الميزان) بعد ان شخصت قلته نسبيا في طروحاتنا الدينية مع حداثة التحديات المعاصرة التي بدأت تستعمل لغة الاحصائيات والادلة العلمية القاطعة من جهة واخفاقات وبدائية الفكر الديني في كثير من حقوله المعرفية عن مواجهة تلك التحديات

والتي آلت الى ترك العقيدة او زعزعتها بنفس هذه اللغة في عقول وقلوب الآخرين.

ثالثا: إن اهم الوسائل لتثبيت المفاهيم الصحيحة وتأكيد التعقل الديني ورسم طريق الرشاد هو ان نفهم الحدود العلمية للذي تركه وندرس بموضوعية حقيقة الاسباب التي قادت المفكرين الى هذه النتائج الخطيرة قال امير المؤمنين عليه السلام ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ﴾[١] .

رابعا: نُظمت هذه الدراسة بداية بطرح نماذج وبطريقة تقدمية في عرض خطورة النماذج الفكرية الغربية والى أي مدى تؤثر في سلوك الفرد وفي ايمانه وتدينه، وقد تم طرح العلم كطريق اولي لمواجهة هذه التحديات ، وهذا ما حاولنا اثارته في الفصل الأول.

الا ان هذه الفكرة واجهت مشكلة نبعت من الطبيعة الضدية للفكر الغربي وهي تجسيد انعكاسي للطبيعة الابداعية للعقل الديني الذي يمثل الانطلاقة الاولى لحمل الدين بالعلم وحمايته وهذا ما تم مناقشته جزئيا في

---

١ نهج البلاغة الخطبة ١٤٧ في كلام له عليه السلام في الغاية من البعثة

الفصل الثاني فانه وبعد أن اثيرت فكرة العلاقة العكسية بين ارتفاع دين الفرد وايمانه وبين الشكل النهائي لمستوى كفاءة العقل الديني لذا فان الاجابة الاولى لا تكفي بعد إثارة الشبهة (أي شبهة العقل الديني وعلاقته العكسية بالإبداع) مما دعانا الى الدخول في الشبهة المُثارة لحلها وتثبيت اركانها العلاجية وقد تدرجنا في تفكيك اجزائها الى أن وصلنا الى مفهوم العقل وكيف تأثر بالفهم الديني الخاطئ .

الى هنا ذكرنا اجمالا بعض الافكار التي طرحت من اجلها هذه الدراسة، ولإكمال الاجابة على هذه الشبهة نسير في خطوات:

الخطوة الاولى: في فهم العقل والتعقل وفيه جهات:

الجهة الاولى: الارتباط المباشر بتراكيب علمية تحليلية.

فأن العقل والتعقل يرتبط بالمراقبة والاستقراء والتفطن والتدبر والاستنتاج وكلما كانت الحوادث أكثر مباشرة مع العقل بلا توسط واسطة أو استعمال نتائج دخيلة في المراقبات او الاستقراءات كان اكثر دقة في الوصول للنتائج قال تعالى ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] فأنه لا يخلو من مراقبة بتحليل

١البقرة١٦٤

بالمباشرة في الاتصال بين الحوادث والعقل بلا واسطة وترجيح الفطنة للأشياء وحقائقها لأنها اقرب الى حفظ النتائج من المقدمات الخاطئة ثم عرضها على الاستنتاجات الاخرى لإكمال الرؤية عن الحقيقة المكنونة الماورائية فقد روي عن ابي عبد الله عليه السلام ﴿دِعَامَةُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ وَالْعَقْلُ مِنْهُ الْفِطْنَةُ وَالْفَهْمُ وَالْحِفْظُ وَالْعِلْم﴾[1] فإن المراقبة والاستقراء والتفطن هي اولى الخطوات فاذا تفطن فهم فاذا فهم عرض ما فهمه على تصوراته الداخلية وخزينه الفكري (الحفظ) ليكون اكثر اتقانا لما التقطه وامضى في فهم الحقيقة فاذا تحصل هذا تدفق ينبوع العلم وهو قوله عليه السلام ﴿الْعِلْم﴾ ويؤكده ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ﴿لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِير﴾[2] بعد فهم أن التدبير هو الارتباط المباشر بالأشياء لفهمها.

الجهة الثانية: الارتباط المباشر بالحالة الطبيعية بلا حوادث ذات تراكيب علمية تحليلية.

وهو أشد في الاحتياج الى التفطن والمراقبة لأنه ينبع من حقيقة النفس وتقبلها للانسجام والتوافق لملئ منطقة الفراغ الداخلية في عملية التعقل قال

١الكافي ج ١ كتاب العقل والجهل ص ١٠

٢ نهج البلاغة الحكمة ١١٣

تعالى﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[١] فإن السير في الأرض (التي تمثل الحالة الطبيعية بلا إثارات مُلفتة للنظر) تُوقظ الرؤية الاتفاقية التكميلية وربما هي ما أشير له بقوله تعالى﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾إذ ان الرؤية الاتفاقية الانسجامية منبعها داخلي ولا تحتاج الى ذلك التركيب الاستدلالي التحليلي فقد روي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ ﴿كَانَ يَرَى مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عليه السلام رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَطُولُ سُجُودُهُ وَيَطُولُ سُكُوتُهُ فَلَا يَكَادُ يَذْهَبُ إِلَى مَوْضِعٍ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ فَبَيْنَا هُوَ مِنَ الْأَيَّامِ فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ إِذْ مَرَّ عَلَى أَرْضٍ مُعْشِبَةٍ يَزْهُو وَيَهْتَزُّ قَالَ فَتَأَوَّهَ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَى مَا ذَا تَأَوَّهْتَ قَالَ تَمَنَّيْتُ أَنْ يَكُونَ لِرَبِّي حِمَارٌ أَرْعَاهُ هَاهُنَا قَالَ وَأَكَبَّ مُوسَى عليه السلام طَوِيلًا بِبَصَرِهِ عَلَى الْأَرْضِ اغْتِمَاماً بِمَا سَمِعَ مِنْهُ قَالَ فَانْحَطَّ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَقَالَ لَهُ مَا الَّذِي أَكْبَرْتَ مِنْ مَقَالَةِ عَبْدِي أَنَا أُؤَاخِذُ عِبَادِي عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَيْتُهُمْ مِنَ الْعَقْلِ﴾[٢] وما يُفهم منها:

١. أن ذلك الرجل من الذين تفطنوا الى امر طبيعي بواسطة رؤية نبعت من نفسه المُنفعلة من الطبيعة الاتفاقية للأشياء والتكميلية بحسب الحقيقة.

٢. إن الرواية ذكرت طول سجود الرجل وسكونه وهو ظاهرا يمثل الحالات العبادية العالية ويُفهم منها أنه لم يكن من اصحاب النظر او قل لم يكن

---

١ الحج٤٦

٢ بحار الانوار ج١ باب ١ ص٩١

التفكر الاستدلالي شغله الشاغل بقدر اهتمامه بحالاته القلبية وصفاءه الروحي، لذا هذه الرواية نموذج مهم لواقع الشبهة.

٣. إن قوله ﴿تَمَنَّيْتُ أَنْ يَكُونَ لِرَبِّي حِمَارٌ أَرْعَاهُ هَاهُنَا﴾ يظهر منه اجتماع ثلاث عناصر في فهم الاشياء:

العنصر الأول: الرؤية الى الامور الطبيعية العامة البسيطة نسبيا.

العنصر الثاني: ملأ منطقة (الفراغ التعقلي) او لنسميه هكذا بحسب الاتفاق بين الاشياء بإيجاد الموجود الافتراضي (الحمار).

العنصر الثالث: وجوده كحقيقة تعقلت هذه الاشياء وترتب بينها لتظهر حالاته العبادية التذليلية بقوله ﴿أَرْعَاهُ هَاهُنَا﴾ وبالتالي نفهم قوله ﴿تَمَنَّيْتُ﴾ الذي هو مجرد تعبير عن اكتمال تلك الاشياء لإظهار مزيد من العبودية والتذلل.

٤ . إن إغتمام نبي الله موسى عليه السلام وإكبابه ببصره الى الارض لما سمعه وإن كانت الرواية لم تتحدث عن سبب اغتمامه عليه السلام إلا أن الرجوع الى سياق مقالة الرجل ﴿تَمَنَّيْتُ أَنْ يَكُونَ لِرَبِّي حِمَارٌ ...الخ﴾ هو غفلة عن أوضح الواضحات والتي لا تنفك عنها النفس الايمانية وهي أن لله تعالى ما في السموات والأرض وأن بيده الملك وهو على كل شيء قدير وإن حكمة الله

تعالى مما تعجز عقولنا عن ادراك كنهها وحقيقتها ولا يسعنا سوى التسليم المطلق له فلا تبقى لنا مشيئة إلا مشيئته ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[1] ولا إرادة إلا إرادته ﴿لَا رَادَّ لِقَضَائِه﴾[2] فإذا لم يقع الموجود الافتراضي (الحمار) (بحسب الرواية) فلا يسعه تمنيه بعد المقدمات العبادية المذكورة، لذا يمكن القول أن ما أغتم لإجله موسى عليه السلام هو عدم التساوق بين حالات الرجل العبادية الظاهرية وبين ما افصح عنه في مكنونات صدره ويؤيده ما روي عن الامام الصادق عليه السلام ﴿يَغُوصُ الْعَقْلُ عَلَى الْكَلَامِ فَيَسْتَخْرِجُهُ مِنْ مَكْنُونِ الصَّدْرِ كَمَا يَغُوصُ الْغَائِصُ عَلَى اللُّؤْلُؤِ الْمُسْتَكِنَّةِ فِي الْبَحْرِ﴾[3] وكأن عقله لم يغص الى الدرجة المطلوبة وهذا يُشير الى ضعفه وعدم اكتماله.

٥ . لا تهافت بين إغتمام نبي الله موسى عليه السلام وبين قول الله تعالى﴿أَنَا أُؤَاخِذُ عِبَادِي عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَيْتُهُمْ مِنَ الْعَقْلِ﴾إذ أنه عليه السلام ناظر لما ذكرناه من ذلك التساوق بين الامر العبادي والعقلي وكلامه تعالى (في الوحي) ناظر الى رحمته تعالى بعباده المتعلقة بمقاصدهم اتجاه عبوديته والنظر الى سرائرهم ومكنونات صدورهم فإذا أدرك العقل ذلك فيها وهو جيد وإلا

---

١ التكوير٢٩

٢ بحار الأنوار ج٤ باب ١- المغايرة بين الاسم والمعنى

٣ بحار الأنوارج١ باب ١- فضل العقل وذم الجهل

فإنه مطلع عليه بصير بحقائقه ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[1] وقد ذكر تعالى تلك الحقيقة في كتابه الكريم بقوله ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾[2] وقد ورد ما يؤيد هذا المعنى حين سئل عليه السلام ﴿عندنا قوم داخلين في هذا الدين غير كاملين في العقل فكيف حالهم ، فأجاب عليه السلام بأنهم وان حرموا فضائل اهل العقل لكن تكاليفهم ايضا اسهل وأخف وأكثر المخاطبات في التكاليف الشاقة لأولي الالباب﴾[3] أذن تبين أن ذلك الرجل هو من اصحاب العبادة او قل (المُتدينين) لكنه من الذين حرموا فضائل اهل العقل وان بساطة تفكيره حرمته من رتبة (أولي الالباب) التي لها تكاليفها الخاصة وان كان مرحوما بحسب ما اوتي من عقل ومن تكاليف مبسطة بحسبه.

ماذا يعني ترجيح العقل على العبادة؟

لنرجع الى ما ينفعنا في فهم الشبهة المُثارة بتلك العلاقة العكسية بين التدين والابداع او الذكاء وما ذكرناه في السبب الاول منها وهو فهمنا الديني الناقص عن العقل فان ما ورد من روايات في ترجيح العقل على

---

١ الأنعام١٠٣

٢ الفرقان٤٤

٣ بحار الانوار ج١ باب١ في فضل العقل وذم الجهل.

العبادة او على حسن الحال يُفترض إعادة فهمها بمعنى اعمق وادق بعد ما قدمناه من دراسة الى هنا منها :

ما روي في الكافي ﴿مَا أَدَّى الْعَبْدُ فَرَائِضَ اللَّهِ حَتَّى عَقَلَ عَنْه﴾[1] أو قوله ﷺ ﴿إِذَا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ حَالٍ فَانْظُرُوا فِي حُسْنِ عَقْلِه فَإِنَّمَا يُجَازَى بِعَقْلِه﴾[2] أو ما روي عنهم عليهم السلام ﴿وَالْعَاقِلُ أَقْرَبُ إِلَى رَبِّهِ مِنْ جَمِيعِ الْمُجْتَهِدِينَ بِغَيْرِ عَقْلٍ وَ لَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بِرِّ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ أَلْفَ عَامٍ﴾[3] فإنها بحسب ما ذكرناه ليست واردة في ذم العبادة، ولا لتقليل شأن العابدين، بل هي ناظرة الى تكميلها بالعقل، والى اعتبار أن العقل امامها وانه هو المُتقدم رتبة عليها، وهو ما يُفهم من قوله عليه السلام ﴿وَمَا أَدَّى الْعَبْدُ فَرَائِضَ اللَّهِ حَتَّى عَقَلَ عَنْه﴾[4] فإن التعقل عنه تبارك وتعالى هو المُحرك الى العبودية الصحيحة فهي مُنقادة له وكذلك ما أمر به ﷺ ﴿إِذَا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ حَالٍ فَانْظُرُوا فِي حُسْنِ عَقْلِه فَإِنَّمَا يُجَازَى بِعَقْلِه﴾[5] .

---

١ الكافي ج١ كتاب العقل والجهل

٢ المصدر السابق

٣ بحار الأنوار ج ١ باب ١ فضل العقل وذم الجهل

٤ الكافي ج١ ص١٢ كتاب العقل والجهل .

٥ المصدر السابق .

إن حسن الحال مرتبة اولية فإنها تُمثل انقياد السلوك لحالات القلب وهي غير كافية بذاتها ولوحدها للوصول الى الحقيقة وكذلك القرب الوارد في قوله عليه السلام ﴿وَالْعَاقِلُ أَقْرَبُ إِلَى رَبِّهِ مِنْ جَمِيعِ الْمُجْتَهِدِينَ بِغَيْرِ عَقْلٍ﴾ فإنها مُشيرة الى ذلك الكمال بالتعقل لذا فان عبادة الرجل وان رافقها حالات ايمانية عالية وأنس بالذكر ولذة معنوية فإنها تعتبر مرتبة اولية مرتبطة ومهيمنة على ضبط سلوك الاعضاء وتحريرها من حاكمية الحواس فإن تلك الحالات المعنوية القلبية لا تستقر ولا يطمئن لها الا بدرجة أعمق وهي الفكرة التي ترجعها متى ما اضطربت.

ومنشأ تلك الافكار هو العقل وقد ورد ما يرسم تلك العلاقة بين عبودية الفرد وحالاته المعنوية القلبية وبين افكاره وتعقله فقد ورد عنهم عليهم السلام ﴿الْعُقُولُ أَئِمَّةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْكَارُ أَئِمَّةُ الْقُلُوبِ وَالْقُلُوبُ أَئِمَّةُ الْحَوَاسِّ وَالْحَوَاسُّ أَئِمَّةُ الْأَعْضَاءِ﴾[١] ونستطيع بهذا التحليل أن نفهم ما ورد في قوله تعالى ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٢] وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٣] أو قوله تعالى ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ

---

١ بحار الانوار ج١ باب ١

٢ البقرة١٧١

٣ الأنفال٢٢

وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾[١] فإنها أشارت إلى﴿الصُّمَّ﴾ و﴿الْبُكْمُ﴾ وهي أعراض تصيب الحواس التي هي (أَئِمَّةُ الْأَعْضَاءِ) كما في الرواية او قل هي الطرف الأول ثم يذكر تبارك وتعالى الطرف الآخر أو المرحلة الأخيرة وهي التعقل وبغض النظر عما بينهما كما فعلته الرواية وهو ربما يشير الى ما ذكرناه من أنه وحده غير كافٍ لضبط السلوك مهما كان رفيعا ومتساميا كالقلب والحالات المعنوية المرافقة له فانه يعتمد ويتكأ على التعقل وبذلك يظهر معنى قوله تعالى ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[٢] فإن الحالات القلبية وتبدلها واضحة في اعتمادها على العقل والتعقل، ويمكن القول أن كل حالات الانسان مهما كانت فهي تُمثل درجة من درجات الجهل (أو خُلط معها جهل) إذا لم تتكأ على العقل ولم يتم فيها التعقل بما في ذلك حتى الحالات المعنوية والقلبية فإنها لا تخلو من سيطرة الجهل عليها بلا معرفة ولا تدبر وبالتالي استبداله (أي الجهل الطارئ على حالاته القلبية) بقوة عقلية حاكمة مستمدة من توفيق الله تعالى قال تعالى ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٣] فإن الرجس مُتحقق ومستمر ما دام التعقل مُنتفيا لكن بعد حصوله (أي التعقل) تبدأ الهيمنة والسيطرة والحاكمية والتنقية من جميع الادران قال تعالى ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً

---

١ يونس٤٢

٢ الحشر١٤

٣ يونس١٠٠

لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] وقد ورد عن الصادق عليه السلام ﴿الْجَهْلُ صُورَةٌ رُكِّبَتْ فِي بَنِي آدَمَ إِقْبَالُهَا ظُلْمَةٌ وَإِدْبَارُهَا نُورٌ وَالْعَبْدُ مُتَقَلِّبٌ مَعَهَا كَتَقَلُّبِ الظِّلِّ مَعَ الشَّمْسِ أَلَا تَرَى إِلَى الْإِنْسَانِ تَارَةً تَجِدُهُ جَاهِلًا بِخِصَالِ نَفْسِهِ حَامِداً لَهَا عَارِفاً بِعَيْبِهَا فِي غَيْرِهِ سَاخِطاً وَتَارَةً تَجِدُهُ عَالِماً بِطِبَاعِهِ سَاخِطاً لَهَا حَامِداً لَهَا فِي غَيْرِهِ فَهُوَ مُتَقَلِّبٌ بَيْنَ الْعِصْمَةِ وَالْخِذْلَانِ فَإِنْ قَابَلَتْهُ الْعِصْمَةُ أَصَابَ وَ إِنْ قَابَلَهُ الْخِذْلَانُ أَخْطَأَ وَمِفْتَاحُ الْجَهْلِ الرِّضَا وَالِاعْتِقَادُ بِهِ وَمِفْتَاحُ الْعِلْمِ الِاسْتِبْدَالُ مَعَ إِصَابَةِ مُوَافَقَةِ التَّوْفِيقِ﴾[2] وبعد معرفتنا بتقلب احوال الإنسان المعنوية فإننا نعلم سبب تقلب حالاته في الخطأ والصواب وإن تضييق فهمنا للعقل بانه هو الاكتفاء بتحصيل هذه الحالات انما هو فهم ناقص، وانما نحتمل مدخلية الجهل فيها بلا إستبداله بقوة التعقل المُستمدة من التوفيق والموافقة .

---

١ العنكبوت٣٥

٢ بحار الانوار ج ١ باب ١ص٩٤

خُلاصة أُولية

الى هنا تمت الخطوة الاولى في فهم العقل والتعقل ، وان له بعد أعمق مما نتصوره وتضييقه في حالات ايمانية طارئة أو من حال فقط أو سلوك أخلاقي لا يأوي الى ركن شديد وبالتالي ظهور ملازمات غريبة كالإعراض عن التفكر وتفجير الطاقات الابداعية ومعرفة المكنونات في الوجود والقوى العليا المُسخرة له قال تعالى ﴿وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] والى هنا يندفع (جزئيا) ما ذكروه من شبهة عدم التلازم بين التدين والإيمان من جهة والذكاء والابداع من جهة أخرى فإن واحدة من اسبابه التي درسناها هو تضييق فهمنا للعقل وساعد عليه الترويج الديني الثقافي الخاطئ والخلط في المفاهيم الدينية وتلقينها بطريقة تراكمية وقد حذرنا من الأخذ بطريقة ساذجة فإن ﴿كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً وَإِذَا كَانَ خَطَاءً كَانَ دَاء﴾[2] لذا لا نستبعد وقوع هكذا حالة من الانخفاض في المستوى العلمي والابداعي عند المؤمنين لو كان فهمنا للعقل والتعقل ساذجا وسطحيا إذ أن الامور تبقى مُبهمة وغامضة وغير مفصلة في جميع المستويات قال تعالى﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] وللأسف الشديد لم يلتفت

---

١ النحل١٢

٢ بحار الأنوارج٢ ٩٩ص باب ١٤- من يجوز أخذ العلم منه و من لا يجوز

٣ الروم٢٨

كثير من المؤمنين والمُتدينين الى ضرورة الارتقاء في الفهم وايجاد حالة التناسق والجمال بين الحالات المعنوية للإنسان ودرجاته الايمانية وبين مستوى ذكاءه وابداعاته.

نكتفي بهذا المقدار من الخطوة الاولى في حل عقدة السبب الأول من الشبهة المُثارة .

الفصل الثالث

التساهم الإيجادي بين البُعدين المعنوي والعقلي

بعد بيان حقيقة العقل والتعقل في الخطوة الاولى[١] كنقطة إنطلاق في خطوات حل الإشكال المطروح ننتقل بعد ذلك العرض والتفصيل الى الخطوة الثانية.

الخطوة الثانية: العقل وحقيقة المعرفة الأستنطاقية

عن الباقر عليه السلام ﴿لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أُحِبُّ أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ آمُرُ وَإِيَّاكَ أَنْهَى وَإِيَّاكَ أُعَاقِبُ وَإِيَّاكَ أُثِيب﴾[٢] ويُفهم منها:

١. أن العقل مخلوق لله تعالى وهو موجود حقيقة، لا اعتبارا لتعلقه بالخلق قال تعالى ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً﴾[٣] وقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[٤] .

٢. ان قوله عليه السلام ﴿اسْتَنْطَقَهُ﴾ يُفهم منه أحد امرين:

الأول: أي طلب منه النطق.

---

١ لقد مر ذكر الخطوة الاولى ص٣٥

٢ الكافي ج١ باب١٠ ص ١٠

٣ آل عمران١٩١

٤ الحجر٨٥

الثاني: علمه النطق.

والأول اولى لأنه على الثاني كان الاصح أن يقول عليه السلام انطقه ويؤيده قوله تعالى ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] والظاهر أن الاستنطاق المذكور جاء ابرازا للقوة المُودعة في العقل لحظة الخلق فالخلق حقيقة يستلزم تقديرات محددة واستعدادات مكنونة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[2] ويؤيده ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام جوابا لسؤال الشامي﴿أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ: النُّورُ﴾[3] بعد تقريب أن النور يقابله الظلمة التي هي مفهوم يُشير الى ضده فالنور يتضمن قوة الحياة ويتضمن كمال القدرة وهذا واضح بعد مقارنته تعالى بين العمى والبصر والظلمات والنور قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[4] .

إذن فالنتيجة أن الاستنطاق الذي أمر بإبراز النطق هو القوة المُودعة فيه والمأخوذة منه تعالى ابتداءاً وقبلا.

---

١ فصلت٢١

٢ الفرقان٢

٣ بحار الأنوارج١ باب٢ ص٩٦

٤ الرعد١٦

فإذا تحقق معنى الاستنطاق بعد التحقيق العلمي ـ الذي هو إبراز وإشارة الى أن قوة العقل قارنت ولازمت خلقه قبل كل شيء مطلقا ـ وسنذكر روايات تؤيد وتؤكد هذه الحقيقة لاحقا (إن شاء الله تعالى) يمكن عندها أن نتجاوز خطوة مهمة واساسية في فهم الرواية.

٣. إن قوله ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ﴾ يشير الى انصياع ذلك الموجود ذي القوة الاستنطاقية المُودعة فيه لأوامر الله تعالى ابتداءاً ايضا وبلا مُقدمات أو استدلال أو برهان، أو قل بلغة أخرى إنفعاله مع الحقائق العالية ابتداءاً فيكون منفعلا بصورة الحقيقة الفاعلة العليا ابتداءاً وانطلاقا لأن باقي الحقائق مأمومة له بالحديث الذي ذكرنا ﴿الْعُقُولُ أَئِمَّةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْكَارُ أَئِمَّةُ الْقُلُوبِ وَالْقُلُوبُ أَئِمَّةُ الْحَوَاسِّ وَالْحَوَاسُّ أَئِمَّةُ الْأَعْضَاءِ﴾فيلبس صورة الحقيقة النازلة عليه ﴿أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ، أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ﴾ أكرر هذا ابتداءاً وقبلا.

٤. يظهر من الرواية أن العقل يتفاوت ابتداءاً بين الخلق ﴿وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أُحِبُّ﴾ وأنه متعلق بمحبة الله تعالى والظاهر أن علم الله تعالى وحكمته المخفية عنا والمجهولة لدينا حقيقة هي السر في تفاوت الخلق عقلا قال تعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[١] .

---

١ الأنبياء٢٣

تفريع بايلوجي

طبعا هذا الكلام لا يعجب العلماء الطبيعيون وخاصة علماء البايلوجيا الذين يعتبرون أن عملية الانتخاب الطبيعي في نظرية التطور هي المسؤولة عن كل هذه الاختلافات ويعتبرون أن الداروينية ترفع درجة وعينا بطرق اخرى، فتفاوت الإنسان في درجة التفكير والذكاء أمر مُتوقع بحسب الانتخاب الطبيعي بل حتى إن الاخطاء في تصميمه هي نتيجة مُحتملة لتطوره التاريخي وعصب لارينغيل يفضح أصله التطوري الكبير في الطريق المتعرج الذي يسلكه للوصول للهدف، والكثير من الامراض التي تصيب الإنسان من الم اسفل الظهر والفتوق، وهبوط الارحام، سهولة التأثر بالتهاب الجيوب، هي نتيجة اننا نسير على قدمين بشكل عمودي لجسم تطور عبر ملايين السنين ليسير على اربع.

وهكذا فإن فكرة تفاوت درجات الإنسان في العقل بحسب المفهوم الذي ندرسه او اختلافه بنسبة الذكاء أو حصول بعض النقص في خلق بعض الناس من العمى والعرج والتشوه الخُلقي كلها اسئلة يجيب عليها الانتخاب الطبيعي بحسب التصور الأولي ، وهو جواب أكثر منطقية من فكرة الله الذي لا يسأل عما يفعل (بحسب مدعاهم) ففي مقالة نشرها مؤخرا مُنظروا الانتخاب الطبيعي بتاريخ (٢٠٠٥/٩/١) (الحيوانات المفترسة

تبدو وكأنها مُصممة بشكل رائع لصيد الفريسة كما تبدو الفريسة وكأنها مُصممة بشكل متساوي الروعة لتفادي الوقوع كفريسة في صالح من يقف هذا الإله).

ولا أريد أن أدخل في مناقشة هذه الافكار فهو خارج عن اصل الموضوع لكن أكتفي ضمن هذا المستوى بذكر ما نقله صاحب نظرية التطور نفسه حيث ذكر في كتابه أصل الانواع (الافتراض بأن العين بكل مواصفاتها التي لا تقبل التقليد كالتركيز على مسافات مُختلفة أو السماح لكميات مختلفة من الضوء بالمرور عبر الحدقة وتصحيح الشكل الكروي والانحراف اللوني قد تشكل بالانتخاب الطبيعي يبدو وأنا أعترف بهذا بأنه أعلى درجات السخف) وبغض النظر عن انه قصد من كلامه الاداة البلاغية يشد بها فهمه الى جهته او يقصد فعلا عجز الانتخاب الطبيعي الذي اساسه عدم الغاية والهدف والعشوائية في الاختيار لهي فاشلة اكيدا في هكذا تركيب عجيب كتركيب العين.

ولا ادري كيف يفكر امثال هؤلاء وبأي منهج علمي يحتذون، فهل آلام الظهر بسبب استقامة القامة وهبوط الارحام...الخ وغيرها هي السر في اثبات حقيقة اللاعشوائية واللاهدف ولنفترض بقاء كمال ذلك كله وأن التصميم الذكي للإنسان كان كاملا ليخلق منه رجلا خارقا خالدا لا يموت هل يعني ان المشكلة حُلت بالكامل، فكيف نحل إذن بقاء النوع الانساني

ككل بلا موت طبيعي تنتهي به الاجيال لتنشأ أجيال جديدة تستطيع هذه المساحة المحدودة من اليابسة احتوائها وتحملها ؟

إن فشل هذا الاتجاه من التفكير في الاجابة على العديد من الاسئلة كلماذا وُجد الإنسان اصلا ؟ وماهي حركته والى أين يتجه؟ وغيرها من الاسئلة هي السبب في كل التطورات الخاطئة والحلول الهزيلة التي اظهروها لنا، وأرى أن فكرة الإختلاف الإبتدائي في عقل الانسان أكثر منطقية وإن فكرة ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1] منطقية تماما لأن اسئلتنا اقتصرت على نظرة محدودة جزئية حبيسة لزمان معين ومكان مُشخص تجعلنا نشاهد التفاوت الخلقي الإبتدائي نقصا في التصميم والدعوى بأن لا يحل هذه العقدة سوى الانتخاب الطبيعي خاطئة بل هي دعوى تقابل الإعتقاد والايمان بالتفاوت الُمتعمد والمقصود بين المخلوقات ابتداءاً إذ انها تعطي نظرة شمولية هائلة وتفتح آفاقا بعيدة المنال ربما كانت مُتعسرة على العقل الانساني ان يطالها.

إن الله تعالى وعدنا بأن نرى آياته في الآفاق وفي الأنفس﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2] ثم من الآيات الآفاقية الاختلاف الابتدائي للخلق والتفاوت الأولي لأن المعرفة المكنونة فيه

١الأنبياء ٢٣

٢ فصلت٥٣

ومودعة في لحاظ ومراقبة التفاوت الابتدائي فالجمال الشكلي حالة مودعة في العقل ابتداءاً ، والعبودية حالة مودعة في العقل ابتداءاً ، والكمال حالة مودعة في العقل ابتداءاً ، لأنه تعالى ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[١] وهذه التقديرات لا تتبدل ولا تتغير وهي قوانين يشترك فيها كل البشر﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[٢] .

ثم الذي فهمناه من اصل الرواية ﴿اسْتَنْطَقَهُ﴾ أي طلب منه النطق هي مرحلة ما بعد تقدير كل هذه الامور ابتداءاً، إذ أن وجودها أمر مكنون فيه لا يكفي بلا مؤثر يثيرها ويحفزها وأحد تلك المؤثرات الاختلاف لتبدأ بعدها بمرحلة الاقبال إذا امرت بالإقبال وبالإدبار إذا أمرت بالإدبار قال تعالى﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[٣] .

---

١ الفرقان٢

٢ الروم٣٠

٣ الروم٢٢

تفريع عقدي

وتبقى عندنا ربما مشكلة واحدة على هكذا اتجاه من التفكير وهي ما ذنب اصحاب النقص الظاهري والتدني في الشكل ظاهرا، وما ذنبه أن يكون ضحية للمعرفة، والجواب بغض النظر عن التفاصيل الدقيقة لهذا الامر فيكفي فيه ما نستشعره وجدانا إن الإنسان حينما يفقد شيئا يعوض بشيء آخر أكيدا وما فقدان الشيء الأول الا بعلة بعيدة وغير مباشرة ربما في تحصيله وهذا كله برحمة الله فإن النظر بالتصميم الذكي لا يحل مشكلة التفاوت في الخلق لكن النظر بسعة رحمة الله تعالى (لا بالتصميم الذكي وبديله الانتخاب الطبيعي) سنجد أن الحالة منطقية تماما ، فإن النظر برحمة الله تعالى الى الوجود وإنه كله مرحوم بصورة من صورة الرحمة الخفية ، وقبولنا بهذا الامر يدفع الإشكال أكيدا اليس الله تعالى رحمن بخلقه إذن لا تفاوت قال تعالى ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[1] وهي واضحة في مدخليته لفهم وإدراك نفي التفاوت .

فالتفاوت في كمال العقل مُتحقق وهذا التفاوت مُتفق مع المنطق ولا يتقاطع معه أكيدا، إذ أنه اداة الله تعالى الفعالة في تأييده لبعض خلقه ومكافئة حبه لهم ويؤيده ما روي عن الصَّادِقُ عليه السلام ﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

---

١ الملك٣

لَمَّا خَلَقَ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ فَقَالَ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ أُؤَيِّدُ مَنْ أَحْبَبْتُهُ بِكَ﴾[1] .

إن اختلاف الخلق في كمال العقل هو عين اللاتفاوت في الخلق، إذ أنه مُتوقف على بُعد حقيقي وقوة عليا وبالتالي صار طلب الانسان لكمال عقله بوابة واسعة لنوع آخر من المعرفة ، وانهما يُحركان بعضهما البعض.

العقل منطق الوجدان

لنسأل أولا : هل أن العقل هو معنى رمزي أم انه هو المعنى التصوري الأولي وهو ما يفهمه الإنسان وما يتعقله؟

والظاهر انه المعنى التصوري (أي انه ينطبق على الفهم) وليس هو معنى اصطلاحي رمزي فعَنْ إِسْحَاقَ ﴿قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام الرَّجُلُ آتِيهِ أُكَلِّمُهُ بِبَعْضِ كَلَامِي فَيَعْرِفُ كُلَّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ آتِيهِ فَأُكَلِّمُهُ بِالْكَلَامِ فَيَسْتَوْفِي كَلَامِي كُلَّهُ ثُمَّ يَرُدُّهُ عَلَيَّ كَمَا كَلَّمْتُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ آتِيهِ فَأُكَلِّمُهُ فَيَقُولُ أَعِدْ عَلَيَّ فَقَالَ يَا إِسْحَاقُ أَ وَمَا تَدْرِي لِمَ هَذَا قُلْتُ لَا قَالَ الَّذِي تُكَلِّمُهُ بِبَعْضِ كَلَامِكَ فَيَعْرِفُ كُلَّهُ فَذَاكَ مَنْ عُجِنَتْ نُطْفَتُهُ بِعَقْلِهِ وَأَمَّا الَّذِي تُكَلِّمُهُ فَيَسْتَوْفِي كَلَامَكَ ثُمَّ يُجِيبُكَ عَلَى كَلَامِكَ فَذَاكَ الَّذِي رُكِّبَ عَقْلُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَأَمَّا الَّذِي تُكَلِّمُهُ

---

١ بحار الانوار ج١ ص٩٨

بِالْكَلَامِ فَيَقُولُ أَعِدْ عَلَيَّ فَذَاكَ الَّذِي رُكِّبَ عَقْلُهُ فِيهِ بَعْدَ مَا كَبِرَ فَهُوَ يَقُولُ أَعِدْ عَلَيَّ﴾[1] والرواية صريحة في أن العقل هو جوهر المعرفة وبدايتها وبعد ضمها لرواية الاستنطاق تحصَّل أن بداية الفهم والمعرفة تنشأ من العقل حقيقة وإنه مخلُوق من مادة استنطاقية مُركبة مزودة بالعلم ابتداءاً وهي امور وجدناها حاضرة عندنا كعلوم ضرورية اولية انطلاقية بديهية برهانية وزوده بالنور الذي هو حالة كشفية اشراقية للمعرفة وتؤيد هذا الفهم آيات قرآنية كثيرة كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾[2] وبتدبر بسيط يظهر ما ذكرناه بوضوح ويؤيده ما ورد عن الصادق عليه السلام قَالَ ﴿خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالنُّورِ وَالْمَشِيَّةِ بِالْأَمْرِ فَجَعَلَهُ قَائِماً بِالْعِلْمِ دَائِماً فِي الْمَلَكُوتِ﴾[3] والظاهر ان القدرة تابعة للعلم والمشيئة تابعة للنور لتنتهي بالقيام بالعلم والدوام بالملكوت أو قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[4] أو قوله تعالى ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[5] هذا ما ورد في وجود النور أي الكشف الأشراقي ابتداءاً وكذلك في وجود العلم الذي هو الضروريات

---

١ بحار الانوار ج ١ ص٩٧

٢ النساء١٧٤

٣ بحار الانوار ج٢ ص٩٨

٤ النور٤٠

٥ الحديد١٣

البديهية البرهانية الأولية ابتداءاً ايضا قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] وعبر عن الفهم بالعلم وهو أقرب له قال تعالى ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾[2] فالفهم صورته العلم وهو إيتائي ابتدائي وهو تعبير عن المُحاجحة ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾[3] وجعله طريقا للمُحاججة مع الآخرين ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[4] ثم نفى وجوده(أي العلم) من الذات الانسانية إلا بالتعليم أي بوجوده حقيقة (كبرهان ومُحاججة وفهم) في خلق العلم ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾[5] بعد ضمه الى باقي الروايات والاستدلالات المذكورة على طول البحث.

ومن هنا يمكن أن نفهم معنى (منطق الوجدان) الذي هو منطق حاضر عندنا وموجود عندنا ويجده الإنسان ويستشعره في داخله لأنه موجود في خلق العقل وما سنجده من قضايا منطقية كالبديهيات والضروريات هي قضايا حقيقية ثابتة حقيقة ومُودعة فينا إلا اننا اعطيناها وصفا فأسميناها (إستحالة إجتماع النقيضين، أو مبدأ العلية) وهي كلها اوصاف لتلك

---

١ النساء١٧٤
٢ الأنبياء٧٩
٣ آل عمران٦٦
٤ آل عمران٦١
٥ البقرة٣٢

الحقائق الاستنطاقية المُودعة فينا قال تعالى ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[1] وهذا هو سر صحتها وبساطتها لأنها حقائق مودعة فينا اصلا يكتشفها (منطق الوجدان) ليصفها المنطق الأرسطي أو القانون الفيزيائي أو المعادلة والصيغة الرياضية وهذا جزء من التركيبة الأستنطاقية للعقل أما الجزء الاخر للعقل فهو جزء إشراقي نوراني كشفي تبياني﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾[2] وهذا الجزء النوري من العقل يقتبس ضياءه من مصدر شديد الإشراق ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً﴾[3] وهذا الجزء أيضا له شكل من التحكم في حركة الإنسان لو اتبع النور الداخلي الوجداني قال تعالى ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4] .

---

١ المؤمنون٩٦

٢ النساء ١٧٤

٣ يونس٥

٤ الحديد٢٨

الفصل الرابع

التعدد والتركيب في العقل

منبع لكمال التوحيد

نظرية التوحيد التام بالتعدد التركيبي للعقل

قد يتصور البعض أن ما عرضناه لا يتفق مع التوحيد والوحدة وإن الوجود واحد وبسيط فالأولى أن يكون هنالك موجودا واحدا يُحاكي ذلك الوجود البسيط.

والذي نعتقد به أن التوحيد التام لا يقع إلا بالتعدد والتكثير.

فهل أن التوحيد يعني شيئا واحدا؟ أو شعورا واحدا؟ أو فكرة واحدة؟ أو رؤية واحدة؟ ثُم ما معنى الواحد والأحد؟

ولنبدأ فيما ورد في ذلك فقد روي «إِنَّ أَعْرَابِيّاً قَامَ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ قَالَ فَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَقَالُوا يَا أَعْرَابِيُّ أَمَا تَرَى مَا فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَقَسُّمِ الْقَلْبِ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام دَعُوهُ فَإِنَّ الَّذِي يُرِيدُهُ الْأَعْرَابِيُّ هُوَ الَّذِي نُرِيدُهُ مِنَ الْقَوْمِ ثُمَّ قَالَ يَا أَعْرَابِيُّ إِنَّ الْقَوْلَ فِي أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ فَوَجْهَانِ مِنْهَا لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَوَجْهَانِ يَثْبُتَانِ فِيهِ فَأَمَّا اللَّذَانِ لَا يَجُوزَانِ عَلَيْهِ فَقَوْلُ الْقَائِلِ وَاحِدٌ يَقْصِدُ بِهِ بَابَ الْأَعْدَادِ فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ

مَا لَا ثَانِيَ لَهُ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْأَعْدَادِ أَمَا تَرَى أَنَّهُ كَفَرَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَقَوْلُ الْقَائِلِ هُوَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ يُرِيدُ بِهِ النَّوْعَ مِنَ الْجِنْسِ فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ وَجَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَأَمَّا الْوَجْهَانِ اللَّذَانِ يَثْبُتَانِ فِيهِ فَقَوْلُ الْقَائِلِ هُوَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ شِبْهٌ كَذَلِكَ رَبُّنَا وَقَوْلُ الْقَائِلِ إِنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَحَدِيُّ الْمَعْنَى يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُودٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا وَهْمٍ كَذَلِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ»[1] وما يهمنا فيها أمور:

أولا: أن التقريب بالعدد وأنه واحد في حقيقة التعامل معه تبارك وتعالى غير صحيح لأنه عليه السلام قد فسر خطأ هذا التقريب بقوله عليه السلام «لِأَنَّ مَا لَا ثَانِيَ لَهُ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْأَعْدَادِ» فإن العدد له مفهوم انتزاعي من الواقع ، وهو عليه السلام رفض ان ننطلق من مفهوم أنتزعه الذهن الذي له قدرة التفكيك والتجزئة ليفكك بين المختلفات في المرحلة الأولى ثم يبسطها الى شيء واحد كطريق لمعرفة الله تعالى وقد فسر ذلك في آخر كلامه عليه السلام حيث قال عليه السلام «لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُودٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا وَهْمٍ» بعد معرفة ان القسمة هي صورة للتفكيك والتفريق قال تعالى ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[2] .

---

١ بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٠٧
٢ النجم ٢١، ٢٢

ثانيا: قد يُتصور أن الاسلوب المتبع في معرفته تعالى هو غير التفريق والتفكيك للوصول الى التبسيط والظاهر ان الامر ليس كذلك لأنه تعالى هو من وقع إجماع على وحدانيته بما ارتكز في العقل ابتداءاً ويقر كل ذي عقل به إذا صرف عنه الأعراض النفسية، فعَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ ﴿سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الثَّانِيَ عليه السلام مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ قَالَ الَّذِي اجْتِمَاعُ الْأَلْسُنِ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1] فالتوصل الى نتيجة واحدة بهيئة إجماعية شمولية دال على ان المقصود بتلك النتيجة الواحدة أحدي المعنى ولا ينقسم في وجود ولا وهم ولو لم يكن احدي المعنى لأنقسم في العقل أو الوهم وبالتالي لا يحصل الأجماع والأجتماع خلاف المُتحقق في كل عقل على حدة معنى واحد وقع الاجتماع ، وهذه حقيقة لا تتبدل ولا تتغير ابدا وما يحلُم به بعض دعاة الالحاد ما هو الا وهم (وحُلم وردي) فقد كتب احدهم مستفيدا من احصائية أجريت سنة١٩٩٩ عن مدى استعداد الناخب لإنتخاب شخص بشكل عام ذات مواصفات جيدة لمنصب إداري فكانت النتائج٩٥٪ فيما لو كان الشخص امرأة و ٩٤٪ فيما لو كان الشخص كاثوليكي و٩٢٪ فيما لو كان يهوديا و٧٩٪ فيما لو كان مورن[2] و٤٩٪ لوكان مثلياً و٤٩ لو كان مُلحدا.

---

١ بحار الأنوار ج٣ باب ٦

٢ طائفة مسيحية امريكية لا تعترف بالفاتيكان.

ثم يعلق على نسبة الملحدين البالغة ٤٩٪ ويعتبرها نسبة قليلة لكن ستزداد في المستقبل اكيدا.

وأعتقد أن هذا الكاتب قد ارتكز في زيادة النسبة على أحد أمرين أو كلاهما:

١. مقالة قديمة لجون ستيوارت (من المُحتم انها ستكون صدمة هائلة لو عرف العالم كم هي نسبة المُشككين في الدين بين الحاصلين على اعلى الأوسمة لتميزهم اللامع في مجالات العلم والفكر) فكانت ملهمة له لهذا التخمين المستقبلي .

٢. أن القضاء على الشر في العالم مرتبط بالتخلي عن الدين لذا يجب تثقيف العالم بطريقة تجعله يسعى لتقليل الشر من خلال تقليل نسبة التدين .

إلا أن الحالة في حقيقتها ليست كذلك أكيدا فإن فكرة الله حالة إجماعية ونسبة ٤٩٪ ليست سوى وهم وغير خاضعة لمبدأ الزيادة التكاملية للوصول الى دالة نهائية تامة فهي ليست سوى إنطباع ناقص عن الدين وليست ذات صلة مهمة مع التوحيد والوحدانية هذا اذا اعتبرنا هذه النسبة ذات شأن وخضعت لمعايير الدراسة وإلا فهي ليست كذلك بعد توسيع المُحتملات وعدم الحصر بمكان معين مع اختلاف الهيئات والنفوس

والشخصيات ذات اللغات المُختلفة والالسن المتعددة فقد سُئل أبو جَعْفَرٍ الثَّانِيَ عليه السلام ما معنى الوحدة وفي رواية (مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ) ﴿قَالَ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ الْأَلْسُنِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ﴾[1] وهي واضحة في أن الأمر لا يظهر بشكله التام إلا بجمع الألسن الذي ذكره الامام عليه السلام بثقة تامة، فإن النسب المضادة ستتلاشى تقريبا وتكون بمنزلة العدم في كل جيل وفي كل زمان وما هذه النسبة إلا خدعة للإيقاع بالسذج .

فظهر الى هنا أن التوحيد لله تعالى حقيقة مركوزة في العقول وفي الوجود لا تُبدل ولا تُغير وما تفاوت نسبة ظهورها إلا بسبب الأغراض النفسية.

وأود هنا الإشارة الى حقيقة مهمة وهي أن (توحيد الله) أو (الله احد) هي التلقين الوحيد للوحدة الحقيقية في الوجود ولا يكفي أن نذكر الوحدة مجردة عن الله (كما ذهب بعض الكتاب والباحثين) فإنه فرق كبير بين الأثنين فإن الأحدية في سورة التوحيد ذكرت﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[2] فإن ﴿أَحَدٌ﴾ أستعملت تارة مقرونة مع الله وتارة مجردة والأولى ثبتها تبارك وتعالى ونفى الثانية (المُجردة) وبذلك يظهر بوضوح الآية القرآنية ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ولم تقل

---

١ بحار الأنوار ج٣ ص ٢٠٨ باب ٦- التوحيد و نفي الشريك

٢ سورة التوحيد

(ليقولن الواحد) التي استدل بها الامام عليه السلام عن معنى الواحد والتي ذكرتها سورة التوحيد بوضوح ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وقد استغربت ممن تكلموا بهذه الالفاظ كيف لم يلتفتوا فإن الأحدية ليست ذات شأن من دون الله تعالى وقد صرح القرآن الكريم بذلك كثيرا قال تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾[١] أو قوله تعالى ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ﴾[٢] أو قوله تعالى﴿وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ أو قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾[٣] والظاهر أن الأحدية بمفردها لا تُمثل شيئا مقدسا ومهما وذات شأن إلا إذا كانت معنى لإجتماع الخلق على وحدانية الله تعالى﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ويؤكده ما رواه أبو داود بن القاسم الجعفري قال قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام ﴿﴿قل هو الله أحد ما معنى الأحد قال المجمع عليه بالوحدانية أما سمعته يقول ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ثم يقولون بعد ذلك له شريك وصاحبة﴾﴾[٤] و ورد قريب منه عن الباقر عليه السلام .

---

١ الجن١٨
٢ الأحزاب٣٩
٣ الكهف٤٢
٤ بحار الانوار ج٣ ص٢٠٦

والأمر نفسه مع الواحد مع تفريق دقي بين الأثنين ليس هنا مجاله تتكفله المناهج الخاصة به ونكتفي بالروايات في إرجاعه الى الله تعالى وانه ليس ذو شأن إلا إذا كان معنى لإجتماع الخلق على وحدانيته تعالى﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[1] وقوله تعالى ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2] وكذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[3] .

القيمة العلمية الحقيقية لمفهوم الأحدية

١. أن الأحدية والواحدية ذات القيمة العلمية الحقيقية هي (أحدية الله) و (واحدية الله)[4] ولا داع لما ذهب اليه الفلاسفة من الكلام بحذر وتوجس عن الأحدية أو الواحدية مجردة عن (الله المُتعال) والتعاطي معها لا يكون صحيحا ومعطيا كافة ابعاده إلا بإلحاقها به تعالى خذ مثلا قول الفلاسفة (... أن النفس واحدة)[5] مجرداً يختلف بالدقة العلمية عن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[6] فالمطلوب اولا تقوى

---

١ الزمر٤

٢ غافر١٦

٣ ص٦٥

٤ أي نقصد أن إضافة الله الى الأحدية والواحدية يعطي معنى يختلف عن طرحها مُجردة.

٥ الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة صدر المتالهين دار احياء التراث العربي الطبعة الثالثة ١٩٨١ بيروت لبنان ج٥ ص٥٨

٦ النساء١

الله وهذا تحذير وتحفيز ويؤيد الفرق بين منهج القرآن في التعاطي مع الأحدية والواحدية والتوحيد وبين المناهج الأخرى سواء كانت الفلسفية أو المعرفية النظرية منها ما ورد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ ﴿قَالَ دَخَلْتُ عَلَى الرِّضَا عليه السلام فَقَالَ لِي قُلْ لِلْعَبَّاسِيِّ يَكُفُّ عَنِ الْكَلَامِ فِي التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهِ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَيَكُفُّ عَمَّا يُنْكِرُونَ وَإِذَا سَأَلُوكَ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقُلْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[1].

أقول: ولا يخفى أن الأحدية هي مبالغة في الوحدة وهي مترتبة عليه تعالى ولم يترتب هو عليها.

٢. إن صح ولا أدري هل يصح فهم بيت الشعر القائل﴿وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد﴾ ... أن الواحدية هي المقصودة به مُجردا عن الله المُتعال فهي لا ترمي للمعاني الدقية التي ذكرها القرآن وذكرها الائمةعليهم السلام ومن هنا يظهر أيضا جواب السؤال الذي ذكرناه ابتداءاً هل خُلق العقل من العلم والنور وهل تعدده التركيبي يتنافى مع التوحيد ؟

والجواب: صار واضحا فإن الواحد والأحد لم يترتب هو عليها وهي ليست ذات شأن عظيم من دونه تعالى فالكلام عنها كلام عنه تبارك وتعالى

---

١ بحار الأنوار ج٢ ٦٩ باب ١٣- النهي عن كتمان العلم

كما ذكره الائمة عليهم السلام وما ذكرناه يُظهر بوضوح كيف انه عليه السلام عدد المفاهيم ولم يضر ذلك بالتوحيد حيث قال ﴿أَحَدِيُّ الْمَعْنَى يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُودٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا وَهْمٍ كَذَلِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ﴾ وقوله عليه السلام ﴿لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُودٍ وَلَا عَقْلٍ﴾ أي أن العقل له استعداد للتفريق والتقسيم كما ذكرنا وما ذلك الا لتعدد وجوده قبلا ومع ذلك يبقى التوحيد محفوظا بلحاظ أحدية المعنى.

فظهر الى هنا أن تركيب عقل الإنسان (العلم والنور) لا يتنافى مع التوحيد مطلقا بل يمكن الارتقاء أن التوحيد لا يتم إلا بعقل مُركب له قابلية التقسيم ويعجز عن تقسيم معنى واحد)﴿ لَا يَنْقَسِمُ ... وَلَا عَقْلٍ﴾ لأنه معنى متباين لا يتحد مع تركيب العقل حتى يتمكن من تقسيمه فالتقسيم يقع بعد الاتحاد عن الباقر عليه السلام قال ﴿الْوَاحِدُ الْمُتَبَايِنُ الَّذِي لَا يَنْبَعِثُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يَتَّحِدُ بِشَيْءٍ﴾[1] ويمكن أن نفهم بشيء من الفهم في معنى الواحد القهار في قوله تعالى ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2] فإن واحديته قاهرة فلا تنبعث عن شيء ولا يتحد معها شيء.

---

١ بحار الأنوار ج : ٣ ص : ٢٢٣

٢ غافر١٦

خلاصة الأفكار و مُقارنتها مع نتائج فلسفة علم النفس

ثبت أن الجانب التوحيدي محفوظ بالكامل من أن يؤثر فيه عقل أو استعداد عقلي أو تعمل عقلي أو منطق أو برهان أو استدلال، وإن المشكلة تكمن في النفس واغراضها لا في العقل وتركيبه فإنها تحصل عند الكثير من المؤمنين من عدم الاتساق بين البعد العقلي والبعد المعنوي والانفكاك بين هذين البعدين فيضعف احدهما فيما لو إنشغل بالآخر، وهذا ما أثار شبهة العلاقة العكسية بين التدين وبين ذكاء الإنسان، وهو راجع الى اسباب أخرى وليس كما يتوهم البعض أن العقل لا يمثل اشعاعا معنويا أو ما يحصل عند الآخر ان الاشعاع المعنوي معطل للعقل فهذا كله خداع وتوهم.

فالمشكلة تكمن في النفس وإنها ليست سوى حجاب مانع من العلم أو قل أنها صورة شعورية للجهل والعقل بتركيبته العلمية النورية والمكنون فيه حقيقة التوحيد هو الضابط لها قال تعالى ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[١] فإنتفاء العقل هو انفلات للنفس التي تكون عندئذ محلا للرجس ويؤيده ما ورد عن النَّبِيِّ ﷺ فِي جَوَابِ شَمْعُونَ بْنِ لَاوِي (لَاوَى) بْنِ يَهُودَا مِنْ حَوَارِيِّي عِيسَى حَيْثُ قَالَ ﴿أَخْبِرْنِي عَنِ الْعَقْلِ مَا هُوَ وَكَيْفَ هُوَ وَمَا يَتَشَعَّبُ مِنْهُ وَمَا لَا يَتَشَعَّبُ وَصِفْ لِي طَوَائِفَهُ كُلَّهَا فَقَالَ

---

١ يونس١٠٠

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ الْعَقْلَ عِقَالٌ مِنَ الْجَهْلِ وَالنَّفْسَ مِثْلُ أَخْبَثِ الدَّوَابِّ فَإِنْ لَمْ تُعْقَلْ حَارَتْ فَالْعَقْلُ عِقَالٌ مِنَ الْجَهْلِ﴾[١].

معنى لطيف لمعرفة الرب المُتحصل من معرفة النفس

ويمكن عندئذ ان نفهم معنى ما ورد عن النَّبِيِّ ﷺ ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ﴾[٢] فهو لا يعني أن معرفة الرب متوقفة على معرفة النفس فإن الحديث أشار إلى معرفة سابقة ﴿مَنْ عَرَفَ﴾ وهذه المعرفة مُتحكمة في حركة النفس وتوجيهها وعقلها فإذا ضبطت مُنعت أن تكون مانعا من العلم (الذي هو الجهل) فيتدفق العلم والمعرفة المكنونة في العقل بتركيبته العلمية والنورية فالهوى معارض للعقل وقوته مُستمدة من الشهوة عن الصادق عليه السلام ﴿وَالْهَوَى عَدُوُّ الْعَقْلِ وَمُخَالِفُ الْحَقِّ وَقَرِينُ الْبَاطِلِ وَقُوَّةُ الْهَوَى مِنَ الشَّهْوَةِ﴾[٣] فما على الإنسان سوى كبح شهوته وهواه ليذهب في أي اتجاه علمي وأخلاقي وإستدلالي وبرهاني طبي وفيزيائي رياضي وقد لاحظت ان الكثير ممن يشتغلون بالتفكير العميق فإن شهواتهم تندثر تقريبا حتى من علماء لا ينتمون للدين لا من قريب ولا من بعيد قرأت عن سيرة حياتهم فإن

---

١ بحار الانوار ج١ الباب٤ ص١١٧

٢ بحار الأنوار ج٢ باب ٩ ص ٣٢

٣ بحار الأنوار ج١ ص ١٣٠ باب ٤

بعضهم لم يأخذوا بأي لون من الوان الراحة أو التسلية أو اللهو بل كانوا دائمي التفكير طوال الوقت تقريبا.

وانا لست بصدد مدح هذا الصنف فهذا له حديث مُفصل وما مدى ملائمته لثوابتنا القرآنية وحدود اتفاقه معها لكن؟ ما اردت بيانه ان الفكر يُهذب الشهوة وما يحصل عند البعض حين يفكر بجانب علمي فتندثر حالاته الايمانية ليس بسبب الفكر لكن بسبب انه أجبر نفسه على التفكير وهو رافض له وهي غير مُستسيغة لمادة تفكير معينة فحصل الضغط على النفس التي بدورها ترد بقوة فتزول الحالات الايمانية والصفاء القلبي قال تعالى ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[1] وقال تعالى ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[2] وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[3].

---

١ البقرة٢٨٦

٢ البقرة٢٣٣

٣ الأعراف٤٢

الفصل الخامس

كيف ندمج حدودنا الذاتية مع حدودنا العقلية

ماهي حدود عقولنا وكيف نشعر بها ونندمج معها؟

ينذهل بعض المُثقفين والكتاب بطريقة التفكير العميق وقوة التفكير ويكتسب البعض الكثير من الاحترام لقوة ذكاءه أو قل لعبقريته المُذهلة في حل كثير من الغاز العلم والرياضيات أو التفكير المنطقي أو الفلسفي.

ويعتبر الكثير من المُفكرين المؤمنين إن هذا مما حثَّ عليه كتاب الله تعالى فهو حثَّ على التفكر والتعقل والنظر والاستدلال، فيغرق في تفكير عميق في امور كثيرة ويبدأ باستعمال قدرات العقل وحدها في ربط الافكار وتبسيطها للوصول الى كشف النقاب عن سر مجهول أو فكرة مُحيرة أو أحجية غامضة ويصوغ سؤالا ذكيا عن كل شيء ثم يفكر بطريقة الافتراضات الذهنية ويصوغ تجارب ذهنية متعددة بعضها ينجح وبعضها يخفق.

ولا يخفى ما لهذا الاسلوب من التفكير من متعة ولذة يعرفها اصحابها، ولا يخفى ايضا ماذا يعطي للإنسان من قدرات ارتقائية ذهنية وقوة من الغوص في مكنونات العلوم وارتفاع مستويات الذكاء وقد ذكرت في آخر الفصل السابق أهمية التفكير في تهذيب شهوات الانسان وهي نتيجة رفيعة المستوى وعالية التأثير لكن هل التفكير مفتوح مطلقا؟ وهل النتائج

المُتحصلة منه مقبولة كلها؟ وهل قدراتنا العقلية وتجاربنا الذهنية مُوثقة ومُبهرة لهذه الدرجة؟ وهل هذا الطريق يعطينا كل ما نريد ؟

لذا نسأل ما هي حدود عقولنا؟ وكيف نشعر بعا ونندمج معها؟

وجوابه: عن أمير المؤمنين عليه السلام ﴿قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ مِنْ نُورٍ مَخْزُونٍ مَكْنُونٍ فِي سَابِقِ عِلْمِه الَّذِي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ فَجعلَ الْعِلْمَ نَفْسَهُ وَالْفَهْمَ رُوحَهُ وَالزُّهْدَ رَأْسَهُ وَالْحَيَاءَ عَيْنَيْهِ والحِكْمَةَ لِسَانَهُ وَالرَّأْفَةَ هَمَّهُ والرَّحْمَةَ قَلْبَهُ ثُمَّ حَشَاهُ وَقَوَّاهُ بِعَشَرَةِ أَشْيَاءَ بِالْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ وَالصِّدْقِ وَالسَّكِينَةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالرِّفْقِ وَالْعَطِيَّةِ وَالْقُنُوعِ وَالتَّسْلِيمِ وَالشُّكْرِ ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجلَّ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ تَكَلَّمْ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ ضِدٌّ وَنِدٌّ وَلَا شَبِيهٌ وَلَا كُفْوٌ وَلَا عَدِيلٌ وَلَا مِثْلٌ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ خَاضِعٌ ذَلِيلٌ فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحْسَنَ مِنْكَ وَلَا أَطْوَعَ لِي مِنْكَ وَلَا أَرْفَعَ مِنْكَ وَلَا أَشْرَفَ مِنْكَ وَلَا أَعَزَّ مِنْكَ بِكَ أُوَحَّدُ وَبِكَ أُعْبَدُ وَبِكَ أُدْعَى وَبِكَ أُرْتَجَى وَبِكَ أُبْتَغَى وَبِكَ أُخَافُ وَبِكَ أُحْذَرُ وَبِكَ الثَّوَابُ وَبِكَ الْعِقَابُ فَخَرَّ الْعَقْلُ عِنْدَ ذَلِكَ سَاجِداً فَكَانَ فِي سُجُودِهِ أَلْفَ عَامٍ فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَرَفَعَ الْعَقْلُ رَأْسَهُ فَقَالَ إِلَهِي

أَسْأَلُكَ أَنْ تُشَفِّعَنِي فِيمَنْ خَلَقْتَنِي فِيهِ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِمَلَائِكَتِهِ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ شَفَّعْتُهُ فِيمَنْ خَلَقْتُهُ فِيهِ﴾[1] .

في التحليل المفاهيمي للحديث الشريف:

وما يمكن ادراكه بالنظر التحليلي للحديث الشريف هو:

أولاً: إن النور المخزون المكنون في سابق علمه الذي لم يطلع عليه نبي مُرسل ولا ملك مقرب، قد يُشير الى معنى تقريبي لما تعارف عليه الانسان من النور الاعتيادي الذي هو كيفية تركها الابصار ونراها في مصادرها المُتعددة كالمصباح وغيرها وقد بين لنا تبارك وتعالى استعمال هذا الاسلوب لتقريب المعاني في اماكن متفرقة من كتابه الكريم ومنها مانحن بصدده وهو النور فقال (عز مجده) ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[2] إذن فإنه تبارك وتعالى قرب لنا ذلك المعنى المعقول بمعنى محسوس، ثم أن النور الذي ندركه ظاهر بذاته مُظهر لغيره (كما ذكر في علم البصريات) ثم لو أخذنا هذا المعنى وطبقناه على متعلق معين سنجده يعطي معنى بحسب مُتعلقه كأن نقول (نور حلقة الدرس) أي من ينورهم علميا أو قولنا(نور القوم)أي من يهتدون اليه في الامور فيهديهم برايه.

---

١ بحار الأنوار ج١ الباب ٤

٢ النور٣٥

لذلك فإن النور هو التنوير والكشف والهداية قال تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[1] وقال تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[2] وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾[3] وقد ورد ما يؤيده فقد ورد عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: «سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَقَالَ هَادٍ لِأَهْلِ السَّمَاءِ وَهَادٍ لِأَهْلِ الْأَرْضِ»[4].

فظهر الى هنا أن ما ورد في الرواية من قوله صلى الله عليه وآله وسلم «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ مِنْ نُورٍ مَخْزُونٍ مَكْنُونٍ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ» أي أن النور والهداية هي مادة العقل الاولى لأن الخلق انما يلازم المادة الاولى ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ﴾[5] فالماء الدافق مادة الخلق الاولى وهذا النور والهداية لازما العقل بداية وقبلا إذ أن الخلق لا يقع إلا في البداية والاولية قال تعالى ﴿قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[6] أو قوله تعالى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ

---

١ المائدة٤٤

٢ المائدة٤٦

٣ الأنعام٩١

٤ الكافي ج ١ ص ١١٥ باب معاني الأسماء واشتقاقها.

٥ الطارق٥، ٦

٦ يونس٣٤

وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١] فخلق العقل جُعل فيه النور والهداية ابتداءاً وأولاً وقبلا وهذا النور هو قبس من نوره تعالى ﴿مَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[٢] وأنه نزل بقدر لقوله ﷺ في الرواية﴿نُورٍ مَخْزُونٍ مَكْنُونٍ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ﴾ قال تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[٣].

ثانيا: إن قوله ﷺ ﴿فِي سَابِقِ عِلْمِهِ الَّذِي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ﴾ يُشير الى عظمة ذلك النور الأول الذي خُلق منه العقل وله سعة هائلة يقربها لنا بأوسع الأشياء فيقول تبارك وتعالى﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤] وهو يكفي أن يُشرق الأرض كلها بنوره ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[٥] فكان ذلك النور العظيم لأنه من سابق علمه العظيم قال تعالى﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾[٦] .

فتحصل الى هنا أن سابق علمه وسع كل شيء وكان من سابق علمه نور له من السعة الكبيرة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم أن ذلك العلم

---

١ الأنبياء١٠٤

٢ النور٤٠

٣ الحجر٢١

٤ النور٣٥

٥ الزمر٦٩

٦ الأنعام٨٠

الذي نسبه له لم يطلع عليه نبي مُرسل ولا ملك مُقرب لأن لهم مبلغ من العلم و حد قال تعالى ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[1] لأنه تعالى نزله بقدر معلوم كما بينا ويظهر من قوله ﷺ ﴿لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ﴾ أحد احتمالين:

الأول: إنه ﷺ إنما يتكلم عن عقل خاص لا كل العقول وهذا العقل رفيع الدرجة بل ارفعها لذلك ﴿لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ﴾ بحيث ﴿لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ﴾ أي لم يرقى له أي عقل آخر ويؤيده ما ورد عن النبي ﷺ أنه قَالَ ﴿أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي﴾[2] وعنه ﷺ أنه قَالَ ﴿أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ﴾[3] فيتحصل بالجمع بينهما ما ذكرناه من الوجه الأول.

الثاني: أنه ﷺ يتكلم عن العقل بما هو عقل بغض النظر عن خصوصيته لكن قوله ﷺ ﴿لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ﴾ إشارة الى نزول ذلك النور بقدر معلوم وهنا نحتاج أن نتصور الأمر هكذا أنه تبارك وتعالى خلق العقل لكل إنسان أي قدّر العقل لكل إنسان (لما قلناه من التلازم بين العقل والتقدير) وإن ذلك العقل المذكور في الحديث الشريف

---

١ النجم٣٠

٢ بحار الأنوار ج١ ص٩٧ باب ٢، حقيقة العقل و كيفيته و بدو خلقه.

٣ المصدر السابق

حاكي عن (التقدير الكامل المخزون المكنون) أما من يتلقاه كاملا أو بعض منه فهو بحسب الاستعداد والمشيئة.

لذا يمكن القول بحسب الحديث أن العقل هو نور محكوم بالعلم الإلهي المكنون والمخزون وذلك النور يختلف باختلاف الخلق فإذا صار كاملا صار نوره كاملا وإذا نقص الاستعداد صار جزئيا محدودا ويؤيده ما روي عن الرسول الأكرم ﷺ قَالَ ﴿خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ فَقَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ فَأَعْطَى اللَّهُ مُحَمَّداً ﷺ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءاً ثُمَّ قَسَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ جُزْءاً وَاحِداً﴾[١] أي أن النور الذي تلقاه ﷺ والكاشف له والذي هو حقيقة العقل قد أخذ منه ﷺ الجزء الأعظم.

كيف نستشعر قيمة عقولنا

ولكي نستشعر قيمة عقولنا فإنه يمكن القول (أن ذلك النور الانكشافي الذي يولد في داخلنا والذي يفرق بين الأشياء ودرجاتها وجيدها و رديئها وليلها ونهارها وأسودها وأبيضها وحقها وباطلها، فيكشف ويُبين ما كان مختلطا ومتشابكا وغامضا هو ما نسميه العقل).

---

١ بحار الأنوار ج١ ص٩٧ باب ٢، حقيقة العقل و كيفيته و بدو خلقه.

وما على الإنسان الذي يريد أن يستشعر ظهور العقل عنده وفعاليته سوى أن يلتفت لتلك الومضات والإشراقات النورية في داخله فلو حصلت وكشفت ما كان مخفيا وفرقت بين الامور ودرجاتها وجيدها ورديئها فليعلم أن ذلك هو العقل.

والخلق عموما يتفاوتون في ذلك النور والأنسان يتفاوت فيه خصوصا فيما تقع في قلب إنسان من نور قد لا تقع عند غيره وما يقع من قوة النور ودرجته عند إنسان قد يقع بمقدار أقل من غيره فبمقدار تفاوت ذلك النور يتفاوت الخلق بعقولهم.

ويؤيده ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم سُئِلَ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَقْلَ قَالَ خَلَقَهُ مَلَكٌ لَهُ رُءُوسٌ بِعَدَدِ الْخَلَائِقِ مَنْ خُلِقَ وَمَنْ يُخْلَقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلِكُلِّ رَأْسٍ وَجْهٌ وَلِكُلِّ آدَمِيٍّ رَأْسٌ مِنْ رُءُوسِ الْعَقْلِ وَاسْمُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ عَلَى وَجْهِ ذَلِكَ الرَّأْسِ مَكْتُوبٌ وَعَلَى كُلِّ وَجْهٍ سِتْرٌ مُلْقًى لَا يُكْشَفُ ذَلِكَ السِّتْرُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ حَتَّى يُولَدَ هَذَا الْمَوْلُودُ وَيَبْلُغَ حَدَّ الرِّجَالِ أَوْ حَدَّ النِّسَاءِ فَإِذَا بَلَغَ كُشِفَ ذَلِكَ السِّتْرُ فَيَقَعُ فِي قَلْبِ هَذَا الْإِنْسَانِ نُورٌ فَيَفْهَمُ الْفَرِيضَةَ وَالسُّنَّةَ وَالْجَيِّدَ وَالرَّدِيءَ أَلَا وَمَثَلُ الْعَقْلِ فِي

الْقَلْبِ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ﴾[١] فإذا فهمنا هذا عندها سنفهم بعض الآيات القرآنية التي ذكرت التعقل مثلا:

قال تعالى ﴿فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢] أو قوله تعالى ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٣] فإن إحياء الأرض بعد موتها مثلا وتسخير النجوم وغيرها علامات وإشارات يلازمها ذلك النور القلبي أو التعقل ويؤيد ما ذُكر في الرواية مع ما ذكرناه قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[٤] إشارة الى ذلك النور المُلقى في القلب .

ويتفاوت التعقل والنور (كما ذكرنا) فيكون نورا مُلقى بالقلب من اختلاف ظاهرة طبيعية واضحة ومتجاوز للقوانين المُتعارفة قال تعالى ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٥] أو تجاوزها

---

١ بحار الأنوار ج١ ص٩٩ باب ٢- حقيقة العقل وكيفيته وبدو خلقه

٢ الروم٢٤

٣ النحل١٢

٤ الحج٤٦

٥ البقرة٧٣

أي عالم آخر بنظرة أخرى ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[١] وغيرها من الآيات القرآنية التي لا مجال لذكرها.

فإذا عرفنا ذلك إذن ما معنى ما ذكرناه سابقا ﴿خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالنُّورِ وَالْمَشِيَّةِ بِالْأَمْرِ فَجَعَلَهُ قَائِماً بِالْعِلْمِ دَائِماً فِي الْمَلَكُوتِ﴾ ؟

فنقول: أن العقل هو ذلك النور في القلب والعلم القائم به قد يكون إشارة الى أمرين:

الأول: العلم الذي يُكشف بدرجة مُحددة من الانكشاف فهو خزينه الذي يساعده على الكشف بنحو جزء العلة فإذا حصل الكشف بذلك العلم صار عقلا وصار نورا قال تعالى ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢] فالتبيان هو ذلك العلم الذي يقود بالنتيجة الى الكشف والنور في القلب الذي هو عقل وتعقل.

الثاني: قد يكون إشارة الى علم مخصوص يتسم بحيثية خاصة أو موضوعا محددا أو بعدا مُعينا، فإن تحصيل هذه العلوم يُقوي الكشف والنور في القلب ويؤكده ما ذكرته الرواية ﴿فَجَعَلَ الْعِلْمَ نَفْسَهُ﴾ وهو ما يُفهم من

---

١ يوسف١٠٩

٢ آل عمران١١٨

قوله ﴿فَجَعَلَهُ قَائماً بِالْعِلْمِ﴾ قال تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] فتعلم القرآن بلغة عميقة كاللغة العربية يؤدي الى تحصيل العلم وبالتالي الى التعقل والنور والانكشاف ﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2] ولا مانع من إشارة الحديث الى كلا الأمرين إذ أن العقل الذي هو النور والانكشاف في القلب يقع بعلوم أولية تثيرها إختلافات خارجية أو بعلوم تحصيلية كسبية إلهية وطبيعية تساعد على حصول الكشف والنور في القلب ويزداد هذا النور الواقع في القلب بأمور خاصة فيزداد فهمه للمخصوصات الالهية كالسنة والفريضة والجيد والرديء ومنها ما ذكره الحديث كالزهد والحياء والحكمة واليقين والإيمان والصدق والسكينة والاخلاص والرفق والقنوع... الخ الذي هو قوام العقل لا يُفهم منه العموم بل بالتدبر بالأحاديث كقول الرسول الأكرم ﷺ ﴿اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ﴾[3] والتي ذكرت جنود العقل والجهل وإن هنالك مؤثرات لا يمكن أن تعطي العقل كالشر والجحود والسخط والتهتك والتكبر والعداوة والكفران...الخ فبالأولى أن العلوم إذا استندت على هذه المُرتكزات أو أعطت هذه النتائج فأنها ليست هي ما ذُكر في العلم الذي هو نفسه (أي العقل) أو هو قوامه، نعم قد يقع الانكشاف بهذه العلوم المُرتكزة

---

١ يوسف٢

٢ إبراهيم١

٣ بحار الأنوار ج٨٣ ص١٨ باب ٣٨- سائر ما يستحب عقيب كل صلاة

على هذه الامور والمعاصي فتكون هذه النتائج لها درجة شبيهة بالعقل إلا انها ليست كذلك ويؤكده قوله تعالى ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[١] أو ما ورد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ﴿قَالَ قُلْتُ لَهُ مَا الْعَقْلُ قَالَ مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَاكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَانُ قَالَ قُلْتُ فَالَّذِي كَانَ فِي مُعَاوِيَةَ فَقَالَ تِلْكَ النَّكْرَاءُ تِلْكَ الشَّيْطَنَةُ وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ وَلَيْسَتْ بِالْعَقْلِ﴾[٢] وما أقصده هو قوله عليه السلام ﴿وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ﴾ فإن الحديث وإن ذكر النكراء والشيطنة إلا أن ما نفهمه وما يهمنا أن كثيرا من الانكشافات والتعبيرات والاتساقات هي شبيهة بالعقل لكنها ليست بعقل.

والسؤال كيف نفرق بينهما أي العقل الذي هو النور القلبي والانكشافي وبين شبيهه (والتي هي حدود المعرفة للعقل)؟

وربما لا يوجد جواب واضح لهذا السؤال وما ذكرناه من أن العقل هو ذلك النور في القلب الذي يستند على علم فيؤتى الهداية ويهتدي الى الله تعالى قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٣] أي أصحاب العقول وكل ما

---

١ الجاثية٢٣

٢ الكافي ج١ ص : ١٠

٣ الزمر١٧، ١٨

ذكر من آيات وروايات هو إشارة لهذه الحقيقة عن العقل (فالعقل هو نور الحقيقة في القلب وهو هداية الله تعالى للإنسان للتمسك بالحق والصدق).

التجارب الذهنية ليست دليلا على قوة العقل

والعلم الذي ذكرناه في البداية والذي قد يستعمله الإنسان بقواه التفكيرية ويغرق فيه بتجاربه الذهنية مطلقا وبأي وسيلة وبأي استنتاجات ، ليست هي دليل العقل بل دليله العلم الذي يقود الى التقوى واليقين بالله تعالى والإخلاص له والعمل في سبيله قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام ﴿الْعِلْمُ أَصْلُ كُلِّ حَالٍ سَنِيٍّ وَمُنْتَهَى كُلِّ مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ لِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَيْ عِلْمِ التَّقْوَى وَالْيَقِينِ﴾[1] قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُضَادُّ الْعَمَلَ بِالْإِخْلَاصِ وَاعْلَمْ أَنَّ قَلِيلَ الْعِلْمِ يَحْتَاجُ إِلَى كَثِيرِ الْعَمَلِ لِأَنَّ عِلْمَ سَاعَةٍ يُلْزِمُ صَاحِبَهُ اسْتِعْمَالَهُ طُولَ عُمُرِهِ﴾[2] فليست لذة التفكير هي المطلوبة كما نرى الكثير من المُثقفين وليس التفكير مطلقا وبكل النتائج وباستعمال قدرات الذهن وحدها هي الألمعية والذكاء بل أن يكون للمؤمن عقل مُستند على امور خاصة وأن يكون دليله العلم الذي يُنتج التقوى واليقين وقد ورد عنهم عليهم السلام الاحاديث

---

١ بحار الأنوار ج ٢ ص ٣١ باب ٩- استعمال العلم و الإخلاص

٢ المصدر السابق

الكثيرة في صفات العاقل والعقل أكتفي بما ذكره أبو عبد الله الصادق عليه السلام ﴿الْعَاقِلُ مَنْ كَانَ ذَلُولًا عِنْدَ إِجَابَةِ الْحَقِّ مُنْصِفاً بِقَوْلِهِ جَمُوحاً عِنْدَ الْبَاطِلِ خَصْماً بِقَوْلِهِ يَتْرُكُ دُنْيَاهُ وَلَا يَتْرُكُ دِينَهُ وَدَلِيلُ الْعَاقِلِ شَيْئَانِ صِدْقُ الْقَوْلِ وَصَوَابُ الْفِعْلِ وَالْعَاقِلُ لَا يَتَحَدَّثُ بِمَا يُنْكِرُهُ الْعَقْلُ وَلَا يَتَعَرَّضُ لِلتُّهَمَةِ وَلَا يَدَعُ مُدَارَاةَ مَنِ ابْتُلِيَ بِهِ وَيَكُونُ الْعِلْمُ دَلِيلَهُ فِي أَعْمَالِهِ﴾[1] ولا يخفى على القارئ اللبيب بعد ما ذكرناه ما هو ذلك العلم الذي هو دليل العقل؟

فلا نستغرب مذهولين ومُندهشين مما نسمعه عن المُنكرين والمُجادلين والمُتطرفين، كما رأيت كثير من الكتاب الإسلامين للأسف متأثرا من حيث يشعر او لا يشعر بهذه الاساليب الغير مُقننة، يقول ستيف فولر (يبدو أن تاريخ فلسفة العلم كان سلسلة لا تنتهي من الخيبات مقبرة علماء فاشلين وأفكار علمية فاشلة) فليسمع امثال هؤلاء هذا الكلام وليدققوا في حيثيات صدوره .

١ بحار الأنوار ج١ ص ١٣٠ باب ٤- علامات العقل وجنوده

الفصل السادس

مُنازلة العقل والتوهم ومخاض خداع البصر

اللامبرر العقلي وسُخرية نهاية الإيمان

ذكرنا شيء تقريبي عن العقل وأنه ذلك النور في القلب وذكرنا أن هنالك أشياء تشبهه وهي ليست من العقل، فالعقل حقيقة هو مظهرية الله تعالى في الباطن الإنساني وكل علم يهدي الإنسان الى الله تعالى والى معرفته فذلك العلم هو ما نسميه عقل حقيقة وغيره من العلم والتفكر مما لا يهدي إليه تبارك وتعالى ليس عقلا بل شبيها به قريبا منه يفترق عنه في الجوهر ويلتقي معه في بعض النتائج كالخزين التجريبي والمُراقبة والاستنتاج.

وإثارة هذا الموضوع ليس جديدا فقد وقع البحث عنه في مجالات معرفية مُتعددة كالقرآن والفلسفة وعلم النفس ...الخ، ولا نريد أن نثيره بالتحليل والتفصيل والتحقيق والتدقيق فهو ليس اختصاص هذه الدراسة بل هو موكول الى اختصاصات اخرى ومجالات اوسع ودراسات أعلى.

لكن طرح هذه المفاهيم ربما صار مُسوغا لجدل في اوساطنا الدينية الاسلامية من جهة وسببا لنفوذ شبهات معرفية وعلمية بطريقة تجديدية حديثة للتشكيك في اصول المعرفة وقتل روح الإيمان والإستهانة بالاعتقاد فقد ذكر سام هاريس مبالغا في سخريته عندما كتب في كتاب (نهاية الايمان) (لدينا اسماء عديدة للذين لا يؤمنون بأمور ليس لها أي مبرر عقلي (لاحظوا عقلي) عندما يكون إيمان كهذا شائعا فأننا ندعوهم مُتدينين وإلا

فندعوهم (مجنون) أو (ذهاني) أو (ضحية للوهم)...الخ وكلما زاد عدد الناس الذين يؤمنون بنفس الأشياء التي يؤمن بها الشخص كلما شعر بالأمان ولكن من جهة أخرى فإنه يبقى مجرد حادث تاريخي أن يكون من الطبيعي في مجتمع ما بأن خالق الكون يستطيع سماع أفكارك، كذلك هي إشارة بخلل عقلي لو تصور الشخص بأن الله يخاطبه من خلال قطرات المطر مثلا على زجاج النافذة ، لا اريد أن اقول الآن بأن المُتدينين مجانين لكن معتقداتهم هي الجنون بعينه) .

وقد ذكرنا فيما سبق حقيقة العقل وأثبتنا بالدليل بأنه ذلك النور في القلب الذي يهدي الانسان الى الله تعالى من خلال آيات كثيرة ﴿فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] أو قوله تعالى ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2] وقد ورد محل التعقل في قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[3] وطبعا ما ذكره (سام هاريس) في كتابه نهاية الإيمان استهزاء وتوهين لكل ما ذكره تبارك وتعالى من إرسال الاشارات والآيات التي ينتفع بها الإنسان في تعقله من خلال ذلك النور المُشرق في قلبه فهي في أحسن حالاتها

---

١ الروم٢٤

٢ النحل١٢

٣ الحج٤٦

عند هارس (مجرد جنون في العقيدة) وقد فسر بعض العلماء هذا (الجنون في العقيدة) بأن (عقل الإنسان يمتلك برنامج محاكاة من الطراز الأول وأعيننا لا تعطي الدماغ صورة صحيحة مثل فيلم دقيق عما يحصل بمرور الوقت في محيطنا) فأنهم (بحسب دراستهم العلمية) يعتقدون بأن الدماغ يقوم ببناء نموذجه بشكل مُتجدد باستمرار، هذا الواقع هو عبارة عن نبضات كهربائية تمر في العصب البصري وبذلك تبني صورة متغيرة فالخداع البصري هو تذكير واضح على ذلك وقد نشأ صنف من الوهم البصري ومن امثلته مكعب (نيكر)[١] وقد استفاد بعض فلاسفتهم من هذا التحليل العلمي وقوته الهائلة لبناء مشاهد ورؤى تبدو واقعية لأعلى الدرجات وإعادة بناء شبح أو ملاك مريم العذراء في العقل هي بمثابة لعبة اطفال بالنسبة لبرنامج بهذا الرقي .

---

١ مكعب نيكر (Necker cube) هو خداع بصري يُعتبر من أشهر أمثلة الخداع الأيزومتري متساوي القياس. نُشر عنه لأول مرة باعتباره شكل معيني في ١٨٣٢ من قبل السويسري لويس ألبرت نيكر. يُشاهَد هذا الشكل مكعبا ثلاثي الأبعاد، ولكن المنظور الظاهري لهذا المكعب يظهر متغيرا كل بضع ثوان. فلا بد أن يقابل هذا التناوب شيء ما يحدث في الدماغ.

اللاحسم في الموقع الفكري القرآني وتشويه الخارطة العلمية؟

ولا يخفى على الباحث اين تكمن المشكلة في ولادة هكذا شبهات وكيف تُسخر الدراسات العلمية الحديثة لإيهام الناس بأمور لا صحة لها (حقيقة) إلا أن عدم الوقوف على ارض ثابتة في كثير من مفاهيمنا القرآنية وعدم حسم موقعنا الفكري القرآني من الخارطة العلمية للإنسان الحديث ذي العين الواحدة والنظرة العلمية التجريبية المجردة ربما قاد الى هذه النتائج الخطرة فتشوهت الخارطة العلمية بعد سلب جوهرها الحقيقي القرآني واستبداله بجوهر افتراضي توهمي ناقص وعلينا قبل أن ندخل في التفاصيل أن نلفت نظر القارئ الى المُغالطة في الكلمات التي صِيغت بها هذه الجدليات الحديثة فلا رابط بين بناء الدماغ ببناء نموذجه بشكل مُتجدد باستمرار من خلال نبضاته الكهربائية المارة في العصب البصري وبين إنكار المُشاهدات والرؤى للملائكة وكما ذكروه (ملاك مريم عليها السلام) فإن الأول غير الثاني تماما وما الأول إلا حقيقة الوهم والاشتباه الذي يخضع لعوامل خارجية هي المؤثرة أساسا ثم أن الدماغ يتعامل مع تلك المؤثرات فقد ورد عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ ﴿كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِثِ عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ الرُّؤْيَةِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ فَكَتَبَ لَا تَجُوزُ الرُّؤْيَةُ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ

هَوَاءٌ لَمْ يَنْفُذْهُ الْبَصَرُ فَإِذَا انْقَطَعَ الْهَوَاءُ عَنِ الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ لَمْ تَصِحَّ الرُّؤْيَةُ﴾[1] ومثله ما ورد عن ابْنُ إِدْرِيسَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ ﴿كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِث عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ الرُّؤْيَةِ وَمَا فِيهِ النَّاسُ فَكَتَبَ لَا تَجُوزُ الرُّؤْيَةُ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ هَوَاءٌ يَنْفُذُهُ الْبَصَرُ فَإِذَا انْقَطَعَ الْهَوَاءُ وَعُدِمَ الضِّيَاءُ عَنِ الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ لَمْ تَصِحَّ الرُّؤْيَةُ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الِاشْتِبَاهُ﴾[2] والروايتان وإن كانتا حاكيتان عن رؤية الله تعالى إلا أن ما يخصنا منهما ما ذكره الإمام عليه السلام من عدم صحة ودقة الرؤية البصرية في العين المُجردة بتأثير عوامل خارجية مُتعلقة بالضوء وانتشاره أو إنكساره أو استطارته وهي مما ثبت تحققه في علم البصريات ويعرفه اهل الاختصاص تفصيلا، والدماغ البشري الذي يعتمد على الاعصاب والنبضات الكهربائية المُلتقطة بارتباطها مع الحواس إنما يعالج المُتغيرات البصرية والسمعية الواصلة اليه بالطريقة التي تضمن للإنسان ارتباط صحيح بدرجة من الدرجات مع الواقع الخارجي، وذلك الارتباط وإن نظرنا اليه فلسفيا انه خاطئ (أحيانا) إلا أن ذلك الخطأ يكشف صحة الارتباط بين الانسان وواقعه الخارجي فرؤية الاجسام البعيدة انها صغيرة يمكن اعتباره خطأ لأنه لم ينقل الصورة الصحيحة للحجم إلا انه صحيح لأنه نقل المسافة البعيدة لذلك الجسم

---

١ الكافي ج١ ص٩٥

٢ بحار الأنوار ج٤ ص٣٤

وكذلك إنكسار الملعقة في قدح الماء فإنها خداع بصري من جهة خطأ الصورة لأن الملعقة لم تنكسر إلا أنها صحيحة من جهة أن الملعقة مغمورة في سائل معين ولولا الانكسار الوهمي لما عرفنا إنغمارها في ذلك السائل.

خطأ البصر وتحفيز نقاط المعلومات

وما أريد أن أقوله أن الاسباب الخارجية مؤثرة على الرؤية والبصر ومع ذلك الخطأ فإن الدماغ يستفيد قدر المُستطاع من تلك الأخطاء لالتقاط شيء من المعلومات الصحيحة والدماغ بصورته هذه صحيح السلوك سليم القدرات وليس كما يحاولون إظهاره من أن الدماغ لا يمكن الأعتماد عليه لأن هنالك خداع بصري والأصح أن يُقال أن الدماغ (يلتقط المعلومات الصحيحة قدر المُستطاع حتى مع الخداع البصري) وهذا ما يفسر لنا كيف ان الأمام عليه السلام فسر اشتباه الرؤية بأنقطاع الهواء وعدم الضياء بقوله عليه السلام ﴿انْقَطَعَ الْهوَاءُ وَعُدِمَ الضِّيَاءُ﴾ بل يمكن الأرتقاء أكثر وإعتبار أن التوهم الذي يقع ليس من حالات العقل أبدا ولا يمكن علميا نسبته اليه وهو امر آخر (سنذكره لاحقا إنشاء الله تعالى) إلا أن ما أريد ان ابينه أن الحواس ومنها البصر هو السبب الأهم للتوهم ويمكن اعتبار أن حصول التوهم أو عدمه راجع الى الحواس وأهمها البصر بحيث يمكن التعبير عن التوهم والوهم بالبصر لشدة الأرتباط بينهما ويؤكده ما روي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ﴿﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ﴾ قَالَ إِحَاطَةُ الْوَهْمِ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ ﴿قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ لَيْسَ يَعْنِي بَصَرَ الْعُيُونِ ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ لَيْسَ يَعْنِي مِنَ الْبَصَرِ بِعَيْنِهِ ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها﴾ لَيْسَ يَعْنِي عَمَى الْعُيُونِ إِنَّمَا عَنَى إِحَاطَةَ الْوَهْمِ كَمَا يُقَالُ فُلَانٌ بَصِيرٌ بِالشِّعْرِ وَفُلَانٌ بَصِيرٌ بِالْفِقْهِ وَفُلَانٌ بَصِيرٌ بِالدَّرَاهِمِ وَفُلَانٌ بَصِيرٌ بِالثِّيَابِ اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُرَى بِالْعَيْنِ﴾﴾[1] وقوله عليه السلام ﴿أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُرَى بِالْعَيْنِ﴾ أي إنه لا يقصد البصر ذلك الحس المعروف انما عنى التوهم وعبر عن التوهم بالبصر لما ذكرناه من شدة التلازم بينهما.

ويمكن القول أن ما ذكره الإمام عليه السلام يُفسر الآية القرآنية ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ﴾ بآيات قرآنية أخرى يشير الى ان مسألة عدم الرؤية البصرية مفروغ منها اكيدا وانما عنى القرآن بعدم إدراك الوهم له ولا يعني التوسيع باللفظ لكل موارده وانحصاره بمعنى واحد فيها فإن هذا مما يتعارض مع ظواهر بعض الآيات كقوله تعالى ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[2] فإن التعدد بالبصر لا يتفق مع الوهم بقدر اتفاقه مع البصر إذ أن الوهم من الحالات التي يفقد الإنسان سيطرته عليها غالبا وبالتالي تعددها وتكرراها مما هو خارج نطاق سيطرته ويؤكده روايات أخرى

١ الكافي ج١ ص ٩٨ في قوله تعالى (لا تدركه الأبصار)
٢ الملك٣، ٤

تعاملت مع اللفظ بالمعنى المُطابقي إلا انها توسعت فيه فهي ثبتت الحقيقة فيه أولا وجوزت استعماله في غيره كما ورد عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام ﴿﴿قَالَ سَأَلْتُهُ عَنِ اللَّهِ هَلْ يُوصَفُ فَقَالَ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قُلْتُ بَلَى قَالَ أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ﴾ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَتَعْرِفُونَ الْأَبْصَارَ قُلْتُ بَلَى قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ أَبْصَارُ الْعُيُونِ فَقَالَ إِنَّ أَوْهَامَ الْقُلُوبِ أَكْبَرُ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ فَهُوَ لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَوْهَامَ﴾﴾[١] وبغض النظر عن الدخول في تفاصيل الرواية ومراعاة حال السائل أو ما شاكل، فإن ما نريد ذكره أن الابصار معنى ينطبق على البصر ويتوسع الى غيره وإن توسعه يشمل أشد الأمور أرتباطا به وهو الوهم لقوله عليه السلام ﴿ إِنَّ أَوْهَامَ الْقُلُوبِ أَكْبَرُ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ﴾ فثبت عجز ابصار العيون وتوسع عليه السلام الى أخرى متأثرة بها ومتلازمة معها وهي أوهام القلوب فإذا فهمنا هذا عندها ربما سنفهم معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[٢] فإن الفؤاد إنما يرتبط بمؤثرية السمع والبصر عليه، وكذلك قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾[٣] .

---

١ الكافي ج١ ص ٩٨ في قوله تعالى (لا تدركه الأبصار)

٢ الإسراء٣٦

٣ الجاثية٢٣

ولنرجع الى أصل الفكرة ونسأل: **ما دور العقل؟** الذي ذكرنا حقيقته (في بحوث سابقة) في إجابة الشبهات التي يُعاد صياغتها من قبل فلاسفة العلم هذا اليوم؟ وهل ان تلك الحقيقة العقلية قابعة تحت سطوة خداع البصر والوهم؟ وإن ما نعتقده عقلا ليس سوى خداع بصر وإيهام وبالتالي فإننا نحتاج الى إعادة النظر في كل الظواهر الدينية الميتافيزيقية كملاك السيدة مريم عليها السلام (بحسب قولهم) وغيرها.

وبعد ما قدمناه نكمل الجواب بذكر أمر مهم حققنا جزء منه في كتاب (قواعد في المُستقبل الفكري) وهو هل أننا نمتلك القدرة على معرفة كل شيء[1] ؟

ولا أريد أن أطيل في الإجابة لكن نكتفي بذكر ما ورد عنهم عليهم السلام قولهم﴿مَا حَجَبَ اللَّهُ عَنِ الْعِبَادِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنْهُمْ﴾[2] وهو منهج رفيع المستوى عظيم الشأن متى تلتفت البشرية التائهة له!؟

فإنه تعالى حين حجب علما عن العباد فقد وضعه عنهم أي إنه لم يطالبهم به فضلا عن أن يطالبهم بالبحث عنه فصار الإنسان يبحث عن كل

---

١ راجع كتاب (قواعد في المستقبل الفكري) للشيخ المؤلف (دام توفيقه) (قاعدة علمنا متوقف على سعة حقيقتنا الوجودية) ص٧٧.

٢ الكافي ج١ ص ١٦٤

شيء بذريعة (التعطش للمعرفة) إلا أن هذا البحث عن كل شيء صار يُطالب بجواب عن كل شيء، فلو تنزلنا جدلا عن فكرة (طلب العلم الذي هو علم التقوى واليقين) أي العلم الذي يقوي عندك التقوى واليقين فإن الإنسان غير مطلوب منه البحث عما حجبه الله تعالى عنه (وهو مُتحقق) فإذا حجبه عنه وعجز عن معرفته لا يعني أن يجعل منه خداع بصر وتوهم هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن منظومة العقل (التي هي نور الإهتداء الى الله تعالى) أمر آخر غير البصر فإننا نعتقد وبحسب كتابنا العظيم أن عجز الوهم وإدراك البصر هو عين العقل والتعقل فقد ورد عنهمعليهم السلام ﴿كل ما توهمته عن الله فهو ضده﴾[1]

ما معنى إحياء العقل؟

ولا أريد هنا أن اعطي مسوغا (للتكاسل العلمي) فلا يبحث الإنسان ولا يجهد نفسه في العلم بذريعة أن الله تعالى وضعه عنه بقدر ما اريد أن أنظم فكر الإنسان المُثقف تجاه كماله وكيف ينتفع منه لإحياء عقله وشرح

---

١ بعد تتبعي القاصر عثرت على ما يشبه هذا المعنى فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في متشابه القرآن ومختلفه لأبن شهر آشوب ج١ ص٦٦﴿ قوله فعله من غير مباشرة وتفهيمه من غير ملاقاة وهدايته من غير إيماء وكلامه من غير آلة ونيته من غير اعتقاد وجهه حيث توجهت وقصده حيث يممت وطريقه حيث استقمت منك يفهمك وعنك يعلمك **ارتبط كل شيء بضده و قطعه بحده ما تخيل فالتشبيه له مقارن وما توهم فالتنزيه له مباين**﴾.

صدره بدلا من تضييق منطقة تفكيره فيُحرم من أنوار المعرفة ويُسجن في ظلمات العلم المادي المحدود فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ﴿فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ فَقَالَ عليه السلام قَدْ يَكُونُ ضَيِّقاً وَلَهُ مَنْفَذٌ يَسْمَعُ مِنْهُ وَيُبْصِرُ وَالْحَرَجُ هُوَ الْمُلْتَامُ الَّذِي لَا مَنْفَذَ لَهُ يَسْمَعُ بِهِ وَلَا يُبْصِرُ مِنْهُ﴾[١] وما هذه النتيجة إلا واحدة من تضييق النظر على البصر والدماغ والموجات الكهربائية وغيرها مُتغافلين عن قوة التعقل التي تعطي الإنسان عجائب الامور فتفتح له ما ينفعه وتغلق عليه ما لا ينفعه فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً أَخَذَ بِعُنُقِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِدْخَالًا﴾[٢] وكذلك عنه عليه السلام ﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً وَكَّلَ بِهِ مَلَكاً فَأَخَذَ بِعَضُدِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ﴾[٣] وما ذلك إلا استجابة لتعقله وإتباع النور الذي في قلبه﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤] فما يحتاج سوى اليقين بالله تعالى وعندها ستأتيه البصيرة قال تعالى ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٥] واليقين بالله تعالى هو التعقل الذي هو النور والومضات في القلب فإذا

---

١ بحار الأنوار ج ٥ ص٢٠٠
٢ بحار الأنوار ج ٥ ص١٩٨
٣ المصدر السابق
٤ الحديد١٢
٥ الجاثية٢٠

حصلت في قلبه فليلتفت اليها فإنها مفتاح الهداية ولا يضيعها أو يستصغرها فقد ورد عنهم عليهم السلام في قَوْلِهِ تعالى ﴿﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى﴾ قَالَ عليه السلام عَرَّفْنَاهُمْ فَاستَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى وَهُمْ يَعْرِفُونَ﴾﴾[1] أي لمسوها وتركوها وهذه الفرصة والومضات مفتوحة للجميع فعن الصَّادِقُ عليه السلام ﴿﴿فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ﴾ قَالَ حَتَّى يُعَرِّفَهُمْ مَا يُرْضِيهِ وَمَا يُسْخِطُهُ﴾﴾[2] وما ذلك إلا لتركهم ما هدتهم إليه قلوبهم من معرفة الله تعالى فعن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصارَكُمْ وَخَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ﴾ يَقُولُ أَخَذَ اللَّهُ مِنْكُمُ الْهُدَى ﴿مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾﴾[3] (لاحظوا ختم على قلوبكم) وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾[4] فالهداية هي (اتباع العقل ونور القلب باليقين بالله تعالى واكتساب علوم التقوى) والضلال هو (انكار نور القلب وعدم اليقين بالله تعالى ونبذ علوم التقوى والثقة بأضدادها) فماذا تكون النتائج عندئذ؟ لا شيء سوى التشكيك والضياع والالحاد وما ذكروه بخصوص ملاك السيدة مريم عليها السلام إلا حلقة فشل في سلسلة طويلة من الحلقات .

---

١ الكافي ج ١ ص١٦٣
٢ بحار الأنوار ج ٥ ص١٩٦
٣ بحار الأنوار ج ٥ ص١٩٧
٤ التوبة١١٥

ولا أدري كيف يعرفوا ملاك السيدة مريم عليها السلام وقد ورد عندنا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ﴿قَالَ مَا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِالتَّوْفِيقِ﴾[١].

والى هنا تم تحقيق شيء من أدراكات التنظير الفكري في فلسفة الأديان وعرض أهم الخطوط التحليلية والمُقتبسة من طروحاتهم العقلية وتعييرها وضبطها بما ورد عندنا من روايات أهل البيت عليهم السلام مع إعادة في القراءة الفكرية لتلك الروايات بطريقة تُظهر المكنونات المعرفية لهذه المدرسة العريقة والتي تُجاري أحدث نظريات فلاسفة الأديان وشبهاتهم والغازهم المُحيرة لتفتح عقدها وتشخص موانع الخلل والانحراف في مناهج التعقل الفلسفية والتي أضحت وهما بل مصدرا للوهم والتوهين فترجع بسبب تقويمات ذلك الفكر الاصيل الى صوابها التعقلي إن صح التعبير وبهذا تم القسم الأول من هذه الدراسة والتوزين وسيليه القسم الثاني بإذنه تعالى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

١ بحار الأنوار ج ٥ ص٢٠٣

فهرس الشخصيات

١. كارل إدوارد ساغان (Carl Sagan) (١٩٣٤، ١٩٩٦) هو فلكي أمريكي من أبرز المساهمين في تبسيط علوم الفلك والفيزياء الفلكيه وغيرها من العلوم الطبيعية. وكان له دور رائد في تعزيز البحث عن المخلوقات الذكية خارج الكرة الأرضية.

تعلم الفيزياء في جامعة شيكاغو، عام ١٩٦٠ حاز على لقب دكتور في علم الفلك والفيزياء الفلكية. قام بالتعليم في جامعة هارفرد، عام ١٩٦٨ انتقل إلى جامعة كورنيل حيث أصبح أستاذا جامعيا عام ١٩٧١. وقام ساغان بتحرير وتقديم البرنامج التلفزيوني "الكون" الذي شرح فيه علم الفلك، وقد عرض البرنامج في العديد من الدول.

حاز على وسام ناسا (مرتين) ووسام آرستر وجائزة بوليتسر. وعانى ساغان من متلازمة خلل التنسج النقوي ومر بزرع نخاع عظمي ثلاث مرات وتوفي عام ١٩٩٦بسبب ذات الرئة

عن عمر يناهض ٦٢ عاما.إن أهم ما يميّز ساغان هو إسهاماته الكبرى في تبسيط علوم الفضاء والفلك لعامة الناس، ولعل هذا ما أدى إلى نجاح معظم مؤلفاته.

وقد كان ساغان يؤمن بأن الكون يضم حياة أو أكثر خارج إطار كوكب الأرض. وذلك استناداً إلى حجم الكون الهائل، وفكرته ببساطة تقول بأن احتمالية تكّون الشروط الملائمة للحياة في مكان آخر غير كوكب الأرض ممكنة، طالما أننا نتحدث عن كون يضم أعداداً لا تحصى من المجرات والنجوم والكواكب. وكان يؤمن أيضا بأن الأرقام الأولية عبارة عن أعداد كونية.قال كارل ساجان بأن هناك سببين على الأقل للعلماء ليشرحو للعامه عن ماذا يتحدث العلم، اولهم هو المنفعة الشخصية لأن كثير من تمويل البحث العلمي يأتي من العامة ، ولهم الحق أن يعرفوا كيف تصرف أموالهم ، فلو استطاع العلماء زياده الحماسة العامة من ناحية العلم ، زادت فرصتهم في الحصول علي داعمين اكثر

من العامه،السبب الثاني هو حب نقل حماسته الشخصيه وحبه للعلم للأخرين.

٢. ستيفن واينبرج (Steven Weinberg) هو عالم فيزيائي أمريكي حاز على جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٧٩ عن "أنجازاته في التوحيد بين القوة الضعيفة والتأثير الكهرومغناطيسي وعلاقته بالتآثر بين الجسيمات الأولية. واشترك معه في الجائزة العالم الباكستاني محمد عبد السلام والعالم الأمريكي شيلدون جلاشو. ولد ستيفن واينبرج في ٣ مايو ١٩٣٣.

٣. جوليان باجينى(من مواليد ١٩٦٨) فيلسوف بريطانى ومؤلف عدة كتب عن الفلسفة مكتوبة لعامه الناس. شارك في تأسيس وتحرير مجلة الفلاسفة. ومنح الدكتوراه سنة ١٩٩٦ من جامعة كلية لندن للأطروحة حول فلسفة الهوية الشخصية. وبالإضافة لكتبه المشهورة عن الفلسفة يساهم بردو فى الجارديان، والاندبندنت، والاوبزرفر، وهيئة الاذاعة البريطانية (بى بى سى).

٤. جوناثان ستيورات ليبويتز (Jonathan Stuart Leibowitz) معروف بجون ستيوارت (Jon Stewart) مواليد ٢٨ نوفمبر ١٩٦٢ في نيويورك ، مقدم برنامج سياسى ساخر و ممثل و كاتب ومنتج يعتبر من أوائل وأشهر الذين ابتدأوا بنقد الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تحصل بشكل كوميدى ساخر. كسب اكثر من جائزة (جرامى). ويعتبر له تأثير كبير على مقدميين برامج سياسيه ساخرة.

٥. سام هاريس (ولد ١٩٦٧) هو مؤلف وفيلسوف ومفكر وعالم أعصاب أمريكي، ومدير تنفيذي وعضو مؤسس لـ Project Reason. يعد هاريس من المنتقدين المعروفين للدين وأحد أعمدة الإلحاد الجديد مع دانيل دينت وريتشارد دوكينز ، وكريستوفر هيتشنز.

٦. ستفن هويكنج من مواليد انكلترا ١٩٤٢ عالم في الفيزياء النظرية حاصل على شهادة الدكتوراه في علم الكون من جامعة

كامبريدج رغم إصابته بمرض التصلب العصبي وعدم قدرته على الحركة في سن ٢١.

له ابحاث في العلاقة بين الثقوب السوداء والديناميكيا الحرارية وله دراسات في التسلسل الزمني وله عدة مؤلفات منها تاريخ مُوجز للزمن و الكون بإيجاز والتصميم الكبير.

٧.روبرت ونستون طبيب بريطاني من مواليد ١٩٤٠ اشتهر كخبير في الخصوبة البشرية له عدة محاضرات سنوية وبرامج تلفزيونية في مجال الطب حاصل على عدة جوائز من الجمعية الملكية للصحة والكلية الملكية للجراحين يعمل حاليا استاذا في الكلية الملكية للعلوم والطب له عدة مقالات في السياسة والفلسفة.

٨. مايكل شيرمر كاتب ومؤرخ علوم امريكي من مواليد ١٩٥٤ وهو مؤسس جمعية المُشككين يحمل شهادة الدكتوراة في تاريخ العلوم.

٩. فرانك سولواي باحث في مركز دراسات الشخصية والحياة الاجتماعية بجامعة بيركلي الامريكية.

١٠. سكوت وايت هو مستشار ومحلل في مجالات الابداع العقلي.

١١. ستيف فولر من مواليد ١٩٥٩ في مدينة يفو فيلسوف وعالم إجتماع أمريكي .

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. بحار الانوار .... العلامة المجلسي

٣. الجواهر السنية .... الشيخ كاشف الغطاء

٤. الحكمة المتعالية .... السيد صدر المتالهين

٥. الاحتجاج .... العلامة الطبرسي

٦. شرح نهج البلاغة .... ابن ابي الحديد المعتزلي

٧. الكافي .... العلامة الكليني

٨. G.D, DUKONZE

٩. (Nature) نشرة علمية دورية اسبوعية بريطانية تعنى بالطبيعة

١٠. كيف تزيد ذكائك .... جون ستيوارت

١١. كُون ضد بُوبر .... ستيف فولر

١٢. مُوجز تاريخ الزمن .... ستيفن هويكنج

١٣. النقطة الزرقاء الباهتة .... كارل سيغان

١٤. انشتين كما اعرفه .... مجموعة باحثين

الفهرس